افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها

"دراسة نقدية"

إعداد الدكتور

أحمد حسين مهدي الأكرت

أستـــاذ التفسـير وعلـوم القرآن المســـاعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

جامعة الأزهر الشريف

افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها "دراسة نقدية".

أحمد حسين مهدي الأكرت
قسم أصول الدين كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: alakrat321@gmail.com

الملخص:

تدور هذه الدراسة حول افتراءات المستشرقين وتفسيرهم للآيات القرآنية، ولا سيما المتعلقة بالنبي محمد ﷺ عن طريق التشكيك في ثبوتها وفي دلالات نصوصها وتفريغها من محتواها وما اشتملت عليه معانيها، الأمر الذي يتطلب إعادة فهمها فهمًا جديدًا، ويدعو إلى قراءة جديدة قائمة أصولها على أسس غربية مبنية على أنسنية القرآن وبشريته، وتاريخيته ونسبية أحكامه وقابليتها للتغيير، وإلى أي مدى تأثر العلمانيون بها.

فهي تهدف إلى بيان أن أعداء الإسلام يريدون القضاء على القرآن الكريم عن طريق الطعن في رسول الإسلام محمد ﷺ من خلال التشويه في شخصيته ﷺ وفي سيرته العطرة، بل وفي دعوته ومعجزته؛ إذ لهم مراحل ثلاث تجاه الإسلام، الأولى: تغريب الإسلام، الثانية: تغيب الإسلام، الثالثة: تجريم الإسلام.

ولذلك كان منهج هذا البحث قائما على المنهج الوصفي التطبيقي، والذي يقوم بوصف الظاهرة، ودراستها، ثم المنهج النقدي من تحليل النصوص، ونقدها نقدًا موضوعيًّا.

وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، منها: القراءة الاستشراقية للنصوص الدينية قائمة على التشكيك والتفكيك، تأثرت العلمانية بالاستشراق أيّما تأثر، فقالوا ببشرية

النص القرآني وأنسنته، وهذا يؤدي إلى نزع قدسية القرآن والتشكيك فيه، والقول بتحريفه، ودراسته دراسة نقديّة، وقد أنكروا الوحي، وقد أنكروا المعجزات، ومنها: صالحية القرآن لكل زمان ومكان وأن الله حفظه من التحريف والتبديل، وأن السنة محفوظة كذلك.

الكلمات الافتتاحية: المستشرقون- العلمانيون- قرآن المؤرخين- الافتراءات- النبي محمد ﷺ.

The Fabrications of Orientalists Regarding Verses Related to Prophet Muhammad ﷺ, and the Influence on Secularists: A Critical Study

Ahmad Hussein Mahdi Al-Akrat
Department of Fundamentals of Religion, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Cairo
Email: alakrat321@gmail.com

Abstract:

This study focuses on the fabrications and interpretations of orientalists regarding Qur'anic verses, particularly those related to Prophet Muhammad ﷺ. The orientalists question the authenticity of these verses, distort their meanings, and attempt to empty them of their original content. This has led to a need for a new understanding of these verses, proposing a reinterpretation based on Western foundations that view the Qur'an as human, historical, and subject to change. The study also examines how secularists have been influenced by these views.

The research aims to demonstrate that the enemies of Islam seek to undermine the Qur'an by attacking Prophet Muhammad ﷺ, defaming his character, his biography, his mission, and his miracles. These critics follow a three-stage process against Islam:

1. Westernization of Islam,
2. Alienation of Islam,
3. Criminalization of Islam.

Therefore, the methodology of this research is based on a descriptive and applied approach, aiming to describe and study the phenomenon, followed by a critical method to analyze and objectively critique the texts.

The study reached several conclusions, including:

- The orientalist approach to religious texts is rooted in skepticism and deconstruction.
- Secularism has been profoundly influenced by orientalism, particularly in its adoption of the view that the Qur'anic text is human and anthropocentric.
- This view leads to the removal of the Qur'an’s sanctity, casting doubt on its authenticity and claiming that it has been altered.

- Secularists and orientalists also deny revelation and miracles, and they assert that the Qur'an is not necessarily valid for all times and places. However, the study concludes that the Qur'an has been preserved from alteration, and that the Sunnah is similarly safeguarded.

Keywords: Orientalists, Secularists, Qur'an of Historians, Fabrications, Prophet Muhammad ﷺ

.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الرحمن الرحيم، منزّل الذكر الحكيم، وجعله هاديًا إلى الصـراط المسـتقيم، والمنهج القويم، ومحفوظًا بحفظه الكريم، والصـلاة والسـلام على من سـماه ربّه الرءوف الرحيم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأكرمين، أما بعد،

فالقرآن الكريم له منزلة كبيرة في قلوب المسلمين؛ إذ به تصح العقيدة وتسلم، وتطبق التشريعات وتضبط، وتستقيم الأخلاق وتهذب السلوك، فهو دستور المسلمين ومنهج حياتهم، جعله الله - تعالى - جامعًا بين الهداية والإعجاز، وقد أدرك المستشرقون هذه المكانة، فسعوا سعيًا حثيثًا لزعزعة هذه الثقة، فأخذوا يتعاملون مع القرآن الكريم في إطار مناهج فكريّة، وأسس فلسفية قائمة على أنسنية القرآن وبشريته، وتاريخيته، ونسبية أحكامه وقابليتها للتغيير، والمنهجية النفعية التي تسعى للطعن في الوحي الإلهي ولا سيما المصدر الأول فيه وهو القرآن الكريم والتشكيك في ثبوته وفي دلالات نصوصه وتفريغ آياته من محتواها وما اشتملت عليه معانيها الأمر الذي يتطلب إعادة فهمها فهمًا جديدًا، والوقوف على أيدلوجيات جديدة للتعامل مع النص القرآني، لنخرج من خلالها بتفسير للقرآن وتأويل لآياته يتخلص من التفسير الموروث ويقوم على نقد الفكر الديني، ويدعو إلى قراءة جديدة قائمة أصولها على أُسس غربية، وتأثر بهم العلمانيون في الشرق، فأطلقوا على القرآن الكريم مصطلح " النص القرآني" ؛ ليكون ذلك "وسيلة لرفع القداسة عن القرآن الكريم، وتعويد العقل الحديث على ذلك؛ لأنه في هذه الحالة تستوي النصوص جميعًا من حيث النصيّة،

وهم يفعلون ذلك بقصد وعلم.....على أن مفهوم النص في التراث مغاير لمفهومه عندهم؛ إذ يستخدم هذا المصطلح عند علماء الإسلام للإشارة إلى الدلالة القطعية"[1]، وقد جاء هذا البحث، والذي بعنوان: " افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها "دراسة نقدية"؛ ليكشف عن افتراءاتهم، ويميط اللثام عن أكاذيبهم، ولا سيما حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، وإنما دارت الدراسة حول شخصية النبي محمد ﷺ؛ لأنهم تواصوا فيما بينهم، فذكروا بأنه حتى يتم القضاء على القرآن الكريم لا بد من الطعن في رسول الإسلام محمد ﷺ من خلال التشويه في شخصيته ﷺ وفي سيرته العطرة، بل وفي دعوته ومعجزته[2].

والجديد الذي يأتي به هذا البحث، هو أنه يدور حول الوقوف على افتراءاتٍ جاءت في كتاب للمستشرقين ظهر في الآونة الأخيرة، أراه من أحدث إصداراتهم، قد شارك في إعداده مجموعة من مدعي البحث العلمي، وليسوا من البحث العلمي في شيء، وقد تجاوز عدد الباحثين فيه الثلاثين باحثًا، وقام على إشرافه شخصان: أحدهما إيراني الأصل؛ إنه محمد علي أميري مُعزّى، والثاني بلجيكي الأصل- إنه جيوم ديبي-، وقد صدر هذا الكتاب في عام ٢٠١٩م في فرنسا، وقد تمت ترجمته، وكان عنوان الكتاب: "قرآن المؤرخين"، وقد أرادوا من خلال هذا الكتاب أمورًا: أولها: تتلخص فيما قاله جون تاكلي:"يجب أن نستخدم

(١) - الحداثية وتحدياتها للتفسير القرآني ودور الأزهر في مواجهتها أ.د/ دين محمد محمد ميراصاحب ١/ ١٦٩ وما بعدها بتصرف.

(٢) - فقد قال المستشرق فويلز: " إن محمدًا كان رجلًا رفعته طوحاته، ووساوسه في سن الكهولة إلى تأسيس دين؛ ليعدّ في زمرة القديسين، فألف مجموعة من عقائد خرافيّة، وآداب سطحية، وقام بنشرها في قومه، فاتبعها رجال منهم". المستشرقون والقرآن الكريم صـ٣١٠.

القرآن وهو أمضى سلاح ضد الإسلام نفسه، بأن نُعلّم هؤلاء المسلمين أن الصحيح في القرآن ليس جديدًا، وأن الجديد ليس صحيحًا"[١]، وثانيها: تمييع التفرد القرآني، من خلال دمجه في إطار النصوص المحرفة والمزورة، ودمجه في إطار النصوص الإنسية البشرية، وثالثها: انتهاك قداسة القرآن.

أسئلة البحث ومشكلاته:

جاء هذا البحث ليجيب عن مجموعة من الأسئلة، من أهمها:

١- ما الاستشراق وما أهم أهدافه، وكيف كانت قراءته للنصوص القرآنية؟

٢- ما المصادر التي استقى منها العلمانيون تعاملهم مع القرآن الكريم؟

٣- ما كتاب "قرآن المؤرخين" وما منهج القائمين عليه وطريقتهم فيه؟

٤- ما أهم المناهج النقدية الحديثة التي اعتمدها العلمانيون في دراسة القرآن الكريم؟

٥- ما أسباب افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ؟

٦- وكيف تم تطبيق هذه الأسباب حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ؟

٧- ما أبرز الافتراءات الواردة حول شخصية النبي محمد ﷺ؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى مجموعة من الأمور يسعى لتحقيقها، من أهمها:

١-الإسهام في الدفاع عن القرآن الكريم ضد شبهات المشككين، وافتراءات المبطلين، التي ادعاها المستشرقون وتأثر بها العلمانيون.

٢-محاولة رصد الأسس المنهجية، وإبراز المناهج النقدية الحديثة التي اتبعها المستشرقون

(١) - تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين، د/ منقذ بن محمود السقار، صـ ٧، ط: رابطة العالم الإسلامي، عام ٢٠٠٩.

في القرآن الكريم وتأثر بها العلمانيون.

٣-عرض نماذج من افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ.

المنهج المتبع في هذا البحث:

أما المنهج الذي سرت عليه في هذا البحث، فهو المنهج الوصفي التطبيقي، والذي يقوم بوصف الظاهرة، ودراستها، وجمع المعلومات التي تقوم عليها، ثم المنهج النقدي من تحليل النصوص، ونقدها نقدًا موضوعيًّا، وقد استفتحت كل شبهة بوضع عنوان لها، ثم ذكرت ما ورد فيها من كتاب " قرآن المؤرخين" وقد أوردت الافتراءات كما جاءت على كثرة ما فيها من أخطاء لغوية، واضطراب في العبارة، ثم ذكرت مضمون الافتراءات وما قامت عليها وإلى ماذا تهدف؟ مدعمًا كلامي بنصوص للعلمانيين المتأثرين بكلام المستشرقين والتي تدل على هذا الهدف، ثم رددت على هذه الافتراءات تحت عنوان "الرد"، ومن منهجي في الرد والمناقشة، هو الرد على ما جاء في مضمون الافتراءات؛ إذ هو الأصل الذي قامت عليه، ثم تفسير الآية تفسيرًا علميًّا منضبطًا متبعًا المنهج العلمي الصحيح.

الدراسات السابقة حول هذا البحث:

على الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت تأثر العلمانيين بافتراءات المستشرقين، والتي منها: الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور/ محمد عابد الجابري، رؤية نقدية، تأليف/ عبد السلام البكاري، الصديق بوعلام، ط: دار الأمان – الرباط، (١) ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م، إلا أن هذه الدراسات كانت مقتصرة على شخصية واحدة، ومكتفية بالدراسة النظرية، ولم تشر أي منها إلى هذا الكتاب – قرآن المؤرخين- والذي ضم كل ما قيل من أقوال المستشرقين السابقين في الدراسات القرآنية، وبتتبعي للدراسات

السابقة حول هذا الموضوع لم أعثر - فيما وقفت عليه من خلال البحث- على دراسة مستفيضة، وأطروحة تناولت هذا الموضوع بهذه المنهجية التي اتبعتها وفي هذا الكتاب الذي دارت الدراسة حوله، وهو "قرآن المؤرخين" اللهم إلا ما كان من رءوس أقلام منشورة على مواقع التواصل الاجتماعي، مثل: قرآن المؤرخين: النص الديني في متاهة الاستشراق، نجم الدين خلف الله، موقع العربي الجديد بتاريخ ١٧ مارس ٢٠٢٠م، تبصير أهل القرآن بحقيقة كتاب " قرآن المؤرخين"، عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس، موقع ملتقى أهل التفسير، بتاريخ ٢٣/ ٦/ ٢٠٢١م.

خطة البحث:

ويشتمل هيكل البحث على: مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، وفهارس فنية.

المقدمة، وفيها بعد الثناء على الله – تعالى- والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، مكانة هذا البحث، وأسباب اختياري له، وأسئلة البحث ومشكلاته، وأهداف البحث، والمنهج المتبع فيه، والدراسات السابقة حوله، وخطة البحث.

التمهيد، ويشتمل على أمرين: الأول: تعريف بمفردات البحث: افتراءات – المستشرقين- تأثر- العلمانيين، والثاني: نبذة حول "قرآن المؤرخين" وطريقة العمل فيه.

المبحث الأول: افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها (الدراسة النظرية)، وفيه، مدخل، وخمسة مطالب:

المدخل: (القراءة الاستشراقية للنصوص الدينية وتأثر العلمانية بها).

المطلب الأول: بشرية القرآن ونزع القداسة عنه.

المطلب الثاني: إنكارهم للسنة النبوية المشرفة.

المطلب الثالث: الهرمينوطيقا وإهمال السياق.

المطلب الرابع: التفكيكية، وإهدار التراث.

المطلب الخامس: ظاهرة التضارب والتناقض في كلامهم.

المبحث الثاني: افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها (الدراسة التطبيقية) ، وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول: الافتراءات الواردة في اسم النبي ﷺ.

المطلب الثاني: الافتراءات الواردة حول موت النبي ﷺ.

المطلب الثالث: الافتراءات الواردة حول إنكار الوحي.

المطلب الرابع: الافتراءات الواردة حول شق صدره الشريف ﷺ.

المطلب الخامس: الافتراءات الواردة حور دور النبي في تبليغ الرسالة.

المطلب السادس: الافتراءات الواردة حول إنكار الإسراء والمعراج وسدرة المنتهى.

المطلب السابع: الافتراءات الواردة حول حديث النجوى، وتحية اليهود للرسول ﷺ.

المطلب الثامن: الافتراءات الواردة حول قوله تعالى: " وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ".

خاتمة. فهارس فنيّة.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد في كل لمحة ونفس، عدد ما وسعه علم الله -تعالى-.

تمهيـــد

ويشتمل على أمرين:

الأول: تعريف بمفردات البحث: افتراءات – المستشرقين- تأثر- العلمانيين.

الثاني: نبذة حول "قرآن المؤرخين" وطريقة العمل فيه.

الأول: تعريف بمفردات البحث:

افتراءات: جمع "افتراء" على وزن "افتعال" مأخوذ من فِرية –بكســر الفاء–، وهي: العظيم من الكذب، أي: اختلق كلامًا زورًا، وافتعل ما لا يصــح أن يكون وادعاه، وأتى في كلامه بالأمر العجيب. (١)

- **الاستشراق: معناه، وأهدافه:**

مأخوذة من (شــرق)، والألف والســين والتاء فيه للطلب، فهي تدل على طلب علوم الشــرق وثقافته ودينه ولغته، وكل ما يتناول قضــايا الإســلام والمســلمين، والاســتشــراق في الأصل تعريب للكلمة الإنجليزية (Orientalism) مأخوذة من الاتجاه إلى الشرق.

واصطلاحًا: تيار فكري، يتجه صوب الشرق؛ لدراسة حضارته وأديانه وثقافته ولغته وآدابه، من خلال أفكار اتسم معظمها بالتعصب، والرغبة في الاستعمار، وبيان أن دينهم الإسلامي مزيج من اليهودية والنصرانية، والنيل من لغة المسلمين، وتشويه عقيدتهم وقيمهم. (٢)

(١) - تاج العروس٣٩/ ٢٣١، وينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض٢/ ١٥٤، الكليات للكفوي١/ ١٥٤.

(٢) - الأثر الاستشراقي في موقف محمد أركون من القرآن الكريم، د/ محمد بن سعيد السرحاني، صـ ٥، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة د/ مانع بن حمّاد الجهني ٢/ ٦٩٦، ط: دار الندوة العالمية- الرياض (٤) ١٤٢٠هـ.

وكان الهدف من وراء نشأة الاستشراق -ولا سيما في الجانب الديني- أمرين رئيسين، هما: التشكيك والتفكيك، بمعنى: التشكيك في صحة القرآن الكريم والطعن فيه، وفي صحة رسالة النبي محمد ﷺ، وفي ماضي هذه الأمة، حيث تراثها وحضارتها، والعمل على تفكيك الرابطة بين المسلمين، حيث التركيز على إثارة القضايا الخلافية في الفكر الإسلامي، وإحياء الآراء الشاذة للفرق المغالية؛ لينشغل المسلمون بها عن التفكير في عظائم الأمور، وحتى يتمكنوا من هذا كان ولا بد من النيل من اللغة العربية واستبعاد قدرتها على مسايرة ركب التطور، والعمل على إرجاع الإسلام إلى مصادر يهودية ونصرانية، بدلًا من إرجاع التشابه بين الإسلام وهاتين الشريعتين إلى وحدة المصدر[1]، فعمدوا إلى القرآن الكريم فترجموه.

- **المستشرقون وترجمة للقرآن الكريم؟**

يعتبر (القرآن أصدق كتاب صور حياة النبي محمد ﷺ وصوّر طبيعة التكوين للمجتمع الإسلامي الفاتح، كما سجّل المبادئ التي على أساسها قيم البنيان الإسلامي، فقد عنى بترجمته إلى غير العربية كثيرون من المستشرقين والقساوسة، ومعظم هذه الترجمات فيها مغالطات، وبين يدي العديد من هذه الترجمات تلخيص وافٍ لسيرة النبي محمد ﷺ أو للنظم الإسلامية، بل إن هذه الترجمات كثيرًا ما تسمى خطأ باسم "قرآن محمد ").[2]

- **المستشرقون والرسول ﷺ:**

لقد كثرت الافتراءات والأكاذيب حول النبي ﷺ - ولا سيما من المستشرقين-؛ إذ الرسول هو الذي نزل عليه القرآن الكريم، فالإيمان به وبرسالته يقتضي أن القرآن الكريم

(١) - الموسوعة الميسرة ٢/ ٦٩١، من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية صـ١١ وما بعدها بتصرف.

(٢) - السيرة النبوية وأوهام المستشرقين عبد المتعال محمد الجبري صـ ٢٦.

وحي وهذا خلاف ما زعموه، وأن الإيمان به يعتبر من أصـول الاعتقاد التي لا تقبل الشـك، والتي كانوا يسـعوْن لزعزعتها والتشـكيك فيها؛ لذلك وجهوا طعونهم تجاه النبي ﷺ فقالوا عنه بأنه من المتهوسين، وأنه رجل شـهواني، ومن دعاة الاشـتراكية، ومنهم من قال يمكن أنه نجعله أحد العباقرة أو أحد الأبطال العظماء أو أنه ناقل ذكي من كتب الأولين ولكن لا نعتبره نبيًّا مرسلًا وموحى إليه.(١)

تأثر: على وزن"تفعّل" مأخوذ من أثّر، إذا ترك فيه أثرًا، والتأثير: إبقاء الأثر في الشـيء، يقال: تأثر الشيء: ظهر فيه الأثر، وبالشيء: تطبع فيه، والشيء: تتبع أثره.(٢)

- **العلمانية ماهيتها وحقيقتها:**

العَلمانية –بفتح العين، هو النطق الصحيح لها، ونطقها بكسر العين خطأ؛ لأنه لا علاقة للكلمة بالعلم – هي الترجمة الصـحيحة على غير قياس لكلمة الإنجليزية: "Secularim "، والترجمة الدقيقة لها: العالمانية أو الدنيوية أو اللادينية، ولكن تحولت كلمة عالمانية إلى عَلمانية؛ لأن العربية تكره تتابع الحركات وتلجأ إلى التخفيف منه، وكذلك فإن زيادة الألف والنون هنا ليسـت قياسـية في اللغة العربية، أي في الاسـم المنسـوب: علماني، وإنما جاءت سماعًا: رباني ونفساني.

ومعناها كما جاء في معجم أكسـفورد: أنها دنيوي أو مادي، ليس دينيًّا ولا روحيًّا، والرأي الذي يقول: إنه لا ينبغي أن يكون الدين أساسًا للأخلاق والتربية.(٣)

(١) – المستشرقون والقرآن الكريم صـ٣٠٩ وما بعدها، من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية صـ٢٠.

(٢) – تاج العروس ١٠/ ١٤، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية١/ ٥، مادة "أثر".

(٣) – العلمانيون والقرآن الكريم– تاريخية النص صـ١٦٩،١٢٢.

فهي اسم لمذهب فكري عقدي، هدفه نزع الدين من حياة الناس، والعمل على الانغماس في الشهوات والملذات دون وازع ديني، والإيمان بالمادة ورفض الدين.

فالعلمانية -بالفتح- قديمة قدم التاريخ والحضارات، ذلك أن العلمانية "الدنيوية " " حلوة خضرة" وفيها إغراء شديد للإنسان العجول المجبول على الرغبة في السعادة العاجلة، والتغاضي عن السعادة الأبدية التي تبدو له بعيدة، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد أن أمما كثيرة، وأقوامًا كثيرين قد اختاروا الحياة الدنيا على الآخرة، وهذا هو جوهر العلمانية.(١)

والعلمانيون العرب وإن اتفقوا على إبعاد الدين عن الدولة والسياسة وشئون الحياة التفصيلية إلا أن موقفهم من الدين لم يكن واحدًا، فهناك علمانية صلبة متطرفة في مواقفها من الدين، تبني آراءها ومواقفها على أسس فلسفية وإبستمولوجية عقلية صرفة، ولا تتورع عن التصريح بمعاداة الدين ومهاجمة أصوله العقدية وأحكامه الشرعية، وهناك علمانية أخرى يمكن تسميتها بالعلمانية المائعة أو الجزئية، وهي التي تقر بالدين شكليًّا ولا تصرح بمعاداته.(٢)

وبما أن العلمانية ظهرت في الغرب حيث أوربا وذلك في القرن السابع عشر الميلادي وهو أحد العصور الوسطى، وكان المجتمع يعيش ظروفًا معيشية قاسية، فالفقر والجهل كانا صفتين لازمتين لهم، ويخضعون في سلوكهم وعلاقتهم الاجتماعية لعادات أشبه بالجاهلية الأولى، بالإضافة إلى فرض مجموعة من العقائد والأوامر تحت مسمى الدين،

(١) - المرجع السابق صـ١٧٩.

(٢) - التوظيف العلماني لأسباب النزول دراسة نقدية د/ أحمد قوشتي عبد الرحيم، صـ٢٥، ط: مجلة البيان - الرياض (١)١٤٣٨هـ.

فأرادو التخلص من ذلك كله، وأخذوا ينادون بتقديس العقل والعلم ومحاربة الدين والنص، ونبذ كل القيود التي تعوق حركة العقل[١]، ولم يكتفوا بأنفسهم، بل امتدوا إلى الشرق، وظهر ما يسمى بالمستشرقين.

- **الاستشراق والعلمانية: مصادر ومصائر:**

لا يزال أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا يبذلون قصارى جهدهم ويفرغون طاقاتهم للنيل من قدسيّة الإسلام وإفساد عقائد المسلمين من خلال إضعاف ثقتهم بمقدساتهم من القرآن الكريم والسنّة النبوية عن طريق التشكيك فيهما تارة والطعن فيهما أو التجريح فيما ورد فيهما من تفسير لهما أخرى، وما الإسرائيليات عنا ببعيد؛ إذ إن أعداء الإسلام – ومنهم اليهود- هالهم ما للإسلام وأهله من قوة، فتربصوا به الدوائر، ووقفوا في طريقه يحاربونه ويصدون الناس عنه، فأخذوا في حَبك القصص في خبث ومهارة حبكًا تامًا، ثم يذيعونها بين أوساط العامة ومن يستخفونهم من البسطاء والجهلة فإذا بها وقد شاعت وانتشرت، وتلقفها نفر من الناس منسوبة إلى رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ منها ومن قائليها ومروجيها بريء، وقصدوا من وراء ذلك أن يصوروا الإسلام في صورة دين خرافي يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها، وكلها من نسيج عقول ضالة، وخيالات جماعات مضللة.[٢]

والمستشرقون في العصر الحديث يدّعون زورًا وبهتانًا بأن القرآن ليس كلام الله –تعالى – إنما هو منتج ثقافي بشري من صنع محمد قد أخذه عن التوراة والإنجيل بتحريف وإساءة فهم لهما، فقد قال جولدتسيهر: "فتبشير النبي العربي ليس إلا مزيجًا منتخبًا من معارف

(١) – من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية صـ٨٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) – الإسرائيليات في التفسير والحديث د/ محمد حسين الذهبي صـ٢٦، ٣٣ بتصرف. ط: مكتبة وهبة (٣)١٤٠٦=١٩٨٦م.

وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرًا عميقًا، والتي رآها جديرة بأن توقظ في بني وطنه عاطفة دينية صادقة، وهذه التعاليم التي أخذها عن تلك العناصر الأجنبية....."[1]، بل قد بلغ بهم من الادعاء والكذب أن زعموا "أن القرآن قد أضيف إليه بعد النبي ﷺ ما دعت الحاجة إليه، يقول المستشرق بول كازانوفا: إن القرآن قد أضيف إليه بعد وفاة النبي ما دعت إليه الحاجة في نظري أبي بكر وعمر مثل الآيات التي صرحت بأن الساعة من الأمور التي استأثر الله بعلمها، بعد أن لم يتحقق ما أخبر به النبي من أنها ستقوم عندما تنتهي مهمته، وقد يكون ذلك في حياته أو على إثر موته مباشرة٠٠".[2]

فقد تشابهت قلوب الأعداء قديمًا وحديثًا، فالمحدثون نقلوا افتراءات القدامى وأكاذيبهم ووضعوها في ثوب جديد، فمن ينظر في القرآن الكريم وما فيه من أباطيل المشركين يعلم يقينًا أن ليس فرق بينهم، وأنهم أخذوا يرددون هذه الشبهات ويكررونها، فالقدامى جعلوا العالَم على قسمين: أميون- ويقصدون بهم العرب- وغير أميين، والمحدثون جعلوه أيضًا على قسمين: شرق- ويقصدون به العرب- وغرب، وقالوا: "إن سبب تأخر الشرق الإسلامي ماديًّا وعلميًّا يرجع إلى تمسكهم بالدين الإسلامي وتعاليمه، ولا مناص للشعوب الإسلامية أن يتغلبوا على هذا التخلف الحضاري إلا أن يتخلصوا من

(١) - مذاهب التفسير الإسلامي، صـ١٧١، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط: مكتبة الأسرة لعام٢٠١٣م بالهيئة المصرية العامة للكتاب، وينظر: من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية د/ محمد السيد الجليند، صـ٢٢، ط: المكتبة الأزهرية للتراث.

(٢) - المستشرقون والقرآن، د/ محمد بهاء الدين حسين، صـ٢٦، ط: دار النفائس بالأردن (١)١٤٣٥هـ=٢١٤م.

تعاليم دينهم أولًا، وأن ينحوا الإسلام بعيدًا عن شئون حياتهم اليومية.....".[١]

فعملوا على فكرة خصخصة الدين، وتأليه الإنسان، والتاريخية، والقطيعة مع التراث، والتغيير لأجل التغيير والتي تقتضي التجديد، و"التجديد يستلزم بل يبدأ من تجديد الفكر، وتجديد الفكر في إطار الدين، وهو يقوم على قراءات جديدة متجددة يمليها التغيير وضرورة التكييف، وهذه القراءة الجديدة لا تقوم على مرجعية النصوص، إنما على مرجعية العقل، وهذا يعني أن مفهوم التغيير بهذه الطريقة ثورة على الفكر الديني القائم على مرجعية القرآن الكريم يقينًا، فهذا رفض للوحي وإنكار للعقل الديني المؤمن بالله وبالوحي، وتمرد على المنهج الإسلامي في فهم القرآن الكريم، ورفض للسنة النبوية التي هي بيان للقرآن الكريم".[٢]

وهذه المعاني كان لها مردودها السيء على مقلدي الغرب وتلاميذ المستشرقين، فهذا أحدهم – وهو نصر حامد أبو زيد–، يقول: " إن النص في حقيقته وجوهره منتج ثقافي، والمقصود بذلك أنه تشكل في الواقع والثقافة خلال فترة تزيد على العشرين عامًا، وإذا كانت هذه الحقيقة تبدو بدهية ومتفقًا عليها، فإن الإيمان بوجود ميتافيزيقي سابق للنص يعود لكي يكمش هذه الحقيقة البدهية ويعكر من ثم إمكانية الفهم العلمي لظاهرة النص"، ويقول: "وإذا كانت النصوص الدينية نصوصًا بشرية بحكم انتمائها للغة والثقافة في فترة تاريخية محددة هي فترة تشكلها وإنتاجها، فهي بالضرورة نصوص تاريخية، بمعنى: أن دلالتها لا

(١) – من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية، صـ ٥١.

(٢) – الحداثية وتحدياتها للتفسير القرآني ودور الأزهر في مواجهتها د/ دين محمد ميرا صاحب ١/١٤٨ وما بعدها بتصرف.

تنفك عن النظام اللغوي الثقافي الذي تعد جزءًا منه "[1]، وهم بذلك عملوا على إخضاع القرآن الكريم لمجموعة من المقررات، منها: "١- تجريد القرآن الكريم من أصله المحصور في الوحي، ٢- رفع القدسية عن القرآن الكريم ومعاملته مثل أي نص بشري، ٣- إخضاع القرآن الكريم لمتطلبات الزمان والمكان إخضاعًا كاملًا، وهو ما يتناقض مع رسالة القرآن، وهي هداية العالمين، ٤- سلب الثبات عن الدلالات القرآنية الواضحة القاطعة بجعلها رهينة التطور التاريخي ورهينة (بشرية القرآن)، ٥- إطلاق النسبية على الأحكام القطعية القرآنية، ٦- إلغاء جميع الأحكام الشرعية أو جلها أو بعضها أو إعادة تأويل وتجديد قراءتها تحت التفسير التاريخي، ٧- إطلاق تطبيق النظريات الغربية في مجال تفسير النصوص بدون النظر في مناسبها للدراسة القرآنية، ٨- إعطاء السياق التاريخي والواقع الاجتماعي المصاحب له الأول الأكبر في تفسير القرآن والفصل في أحكامه وقضاياه، مع إهمال متعمد للأحاديث النبوية كبيان القرآن الكريم، ٩- اعتبار القرآن نصًّا يمتلكه القارئ يفهمه ويفسره وفتح باب التأويل الشخصي على مصراعيه، وهذا يتفق تمامًا مع النزعة الفردية المتطرفة والإنسية ومبدأ العقلانية، وهو يختلف مع المنهج العلمي الموروث للتعامل مع القرآن الكريم؛ إذ التراث العلمي الإسلامي يتبنى مبدأ ارتباط التفسير بموقف المفسر من القرآن، وهو مبدأ واقعي، وله شرعيته في إطار الإيمان بمجموعة من الأصول، أهمها: الإيمان بكون القرآن تنزيلًا من الله -سبحانه وتعالى-، بواسطة جبريل -عليه السلام-، بلسان عربي مبين، وتبليغًا من قِبل الرسول الكريم؛ ليكون من المنذرين، وليقوم الرسول ببيانه، وليقوم الناس بتدبّر آياته ويدرسوها ويعُوها، وليهتدي الناس به إلى ما هو

(١) - مفهوم النص صـ٢٤، نقد الخطاب الديني، صـ٢٠٦.

أقوم، هذا الإطار الإيماني، الثابت واقعًا بالمشـاهدة والتجربة وتاريخًا بالنقل المتواتر، هو الإطار المنهجي الذي يحكم تعامل المؤمنين بالقرآن الكريم والمقبلين عليه لدراسته وفهمه وتفسيره...".[١]

- **المستشرقون والعلمانيون وموقفهم من التفسير:**

إذا كـان المسـتشـرقون ومن تـابعهم من العلمـانيين يعتبرون بشـرية النص القرآني وتاريخيته، وأنه قد تم تأليفه بعد محمد، ويرون أنه غير كافٍ في أحكامه التشـريعية، يقول المستشرق شاخت: "إن التشريع لم يأتِ مباشرة من القرآن، ولكنه تطور من عهد بني أمية في العمل الحكومي الإداري، وهذا العمل غالبًا ما يكون مائلًا عن المقصـود والمعنى الظاهر الواضـح من القرآن،٠٠ كما أن العُرف أيضًـا أصـبح يعمل دوره في تكميل وسـد تغرات القرآن"[٢]، فهم يرون أن القرآن جُمع تحت صعوبات كثيرة، وفي ظروف سياسية صعبة، مما أدى إلى اختراق المتن القرآني اختراقات هائلة زيادة ونقصًـا واختزالًا وتصـحيفًا وتحريفًا، وذلك نتيجة للهواجس الأيدلوجية والإمكانات التوثيقية، والسياقات التاريخية الاجتماعية، والمطلوب أن نتعامل مع القرآن على أنه نصّ تاريخي خضـع لما تخضـع له النصـوص التاريخية، وأن نراجع توثيق القرآن الكريم وتصحيحه.[٣]

فالتفسـير عندهم يكون لإتمام النص واسـتكمال نقصـه، وليس للكشـف والبيان، وقد اعتبروا تجديد علم التفسـير هو غايتهم المنشـودة من أجل إعادة مجد هذا الدين، وادعوا أنه السـبيل العصـري للاسـتفادة من القرآن، والطريق الوحيد لتطبيق الدين في هذا الزمن، ورفعوا

(١) – الحداثية وتحدياتها للتفسير القرآني ٢/ ١٦٩، ٨٨ وما بعدها بتصرف.

(٢) – المستشرقون والقرآن الكريم صـ ٦٥.

(٣) – العلمانيون والقرآن الكريم صـ٧٩٣.

شعار التجديد ليُخفوا آراءهم العلمانية تحتها، فقد ادعوا أن الوحي علماني، وأنه قد نشأت العلمانية استردادًا للإنسان لحريته، في السلوك والتعبير، وحريته في الفهم والإدراك، ورفضه لكل ألوان الوصايا عليه، ولأي سلطة فوقية إلا سلطة العقل والضمير، فالعلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ.

فكان هدفهم من التفسير والخوض في معاني القرآن الكريم، هو: الترويج للعلمانية ونشرها في قطاعات واسعة من المسلمين، وهذا من شأنه يؤدي إلى نزع القداسة عن النص القرآني عن طريق الدعوة إلى النقد الحرّ، وإلى هدم المرجعية لنصوص القرآن الكريم، وإبطال مرجعية كتب التراث وإضعاف الثقة بها، والعمل على تحلل المجتمع من عُرى الدين، ونشر الإباحية ومحاولة صبغ المجتمع بالصبغة الغربية. (١)

الثاني: نبذة حول "قرآن المؤرخين" وطريقة العمل فيه:

لقد كفانا مؤلفو هذا الكتاب البحث عنه وعن فريق الإعداد والمنهج المتبع في إعداده؛ إذ هذا الكتاب يقع في ثلاثة أجزاء الجزء الأول: دراسات حول سياق ونشأة القرآن، فهو بمثابة الدراسة النظرية للمشروع، أما الجزءان الأخران يحملان عنوان: تفسير وتحليل النص القرآني، (فهما حول سور القرآن حسب ترتيبها في المصحف، أي: الدراسة التطبيقية)، أحدهما تفسير وتحليل للسورة بدءًا من السورة رقم (١) – أي الفاتحة-، إلى السورة رقم (٢٦) – أي سورة الشعراء، وثانيهما تفسير وتحليل لباقي السور من (٢٧)- أي سورة النمل- إلى السورة (١١٤).

أما مكانة التفسير، فقالوا: يعد التفسير الوحيد الكامل للقرآن في هذا الوقت من زاوية البحث اللغوي والتاريخي باللغة الفرنسية أصالة، وتقريبا التفسير الوحيد في اللغات الغربية

(١) – التيار العلماني الحديث وموقفهم من التفسير صـ١٠٠، ١١٤. بتصرف

لبعض الاعتبارات؛ .....لذا ننصح القارئ أن يقرأ القرآن في نفس الوقت الذي يقرأ فيه كتاب المؤرخين، والخير كل الخير يكمن في فهمه على ضوء الأدبيات اليهودية والمسيحية٠٠".[١]

فريق الإعداد:

ذكروا أنه تفسير جماعي يضم ثلاثين عضوًا وباحثًا في دراسات مختلفة تحث إشراف/ محمد على أميرى – معزى (إيراني الأصل)، جيوم دي (بلجيكي الأصل)، واستغرق خمس سنوات في تأليفه وإعداده، وقد تم نشره في دار سيرف (CERF) عام ٢٠١٩م.

أما منهجهم فيه:

فقالوا: " كان لمؤرخي القرآن وبدايات الإسلام منهجيان أساسيان وصفهما جريغور شويلر بلفظين موضع نقاش: " النقد المفرط"؛ إذ هي أكثر نجاحًا في الاقتراب من الحقيقة التاريخية".[٢]

مصادرهم في هذا الكتاب:

" .....ومن ناحية أخرى نادرًا ما يعتمد هذا الكتاب على المصادر الإسلامية من أجل التعامل مع القرآن كنص، معتمدين بشكل حصري على البحوث التاريخية وفقه اللغة خارج إطار المعتقدات بمعنى آخر، إنها مسألة تتعلق بعرض معارفنا بالقرآن ورسم المسارات الواعدة للبحث، واعتبار القرآن وثيقة تاريخية وأدبية ولغوية دينية تعود إلى القرن السابع".[٣]

(١) – قرآن المؤرخين٢/ ١.

(٢) – قرآن المؤرخين١/ ١٨.

(٣) – المرجع السابق نفس الصفحة.

علة تسمية الكتاب " قرآن المؤرخين" :

اعتبار أن القرآن نصّ لفترة زمنية، وأنه نتاج بشري له تاريخ، وليس على أنه عمل خالد، وأن القرآن قد استعار كثيرًا من المسيحية واليهودية البيزنطية والساسانية، فالقرآن نص من العصور القديمة المتأخرة، ولكنه أكثر من ذلك نص كتب في الجزيرة العربية في نهاية العصور القديمة المتأخرة"[١]، فهو عبارة عن " تلك الأفكار التي تتمثل في الطابع التاريخي للكتب السماوية ودور السياق السياسي والاجتماعي في كتابتها، والفصل بين النصوص المقدسة والسلطة، ومسؤوليه العمل الكتابي التي تقع على عاتق النساخ وتواطؤ هؤلاء مع دوائر السلطة"[٢].

فهم يرون أن القرآن الكريم ذو مغزى وغامض وأنه أُلّف بعد وفاة النبيﷺ، فقالوا: "هذا، وقد كشفت بوضوح هذه الدراسات عن أن عددًا كثيرًا من جوانب النص القرآني ما زال ملغزًا وغامضًا كما كان بالنسبة للمسلمين في بدايات تاريخهم، .....ومن ثم يكون القرآن الرسمي الذي ينسب تدوينه إلى عهد عثمان قد تم وضعه في زمن متأخر، وعلى الأرجح في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥- ٨٦هـ= ٦٨٥م- ٧٠٥م)، وبالإضافة إلى ذلك يشي هذا التدوين بالجهد التحريري الشاق الذي بذله على الأرجح فريق النساخ أو فريق من الأدباء المعتمدين.."[٣].

وتحت عنوان: محمد والقرآن، قالوا: " إن فائدة القرآن محدودة الإعادة تدوين سيرة محمد أو باقي التفاصيل المتعلقة بمنزلته النبوية..... لا يوجد بالقرآن أي تفاصيل عن حياة

(١) - قرآن المؤرخين١/ ٩٦.

(٢) - قرآن المؤرخين١/ ٧٤٧.

(٣) - المرجع السابق١/ ٧١٠، ٧٣١.

محمد أو التاريخ القديم للمجتمع الديني الذي أســـســـه.....، فإن ما نعرفه عن حياة محمد كان مصـــدره ســـير حياته المجمعة في وقت متأخر، وهي تشـــبه كثيرًا الكتابات المحرفة للمسيحية الأولى مثل الأناجيل وإصحاح العهد الجديد".[١]

(١) – قرآن المؤرخين١/ ١٤١، ١٤٢.

المبحث الأول:

افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها (الدراسة النظرية).

وفيه مدخل، وخمسة مطالب:

المدخل

(القراءة الاستشراقية للنصوص الدينية وتأثر العلمانية بها):

من خلال ما سبق من الحديث عن الاستشراق وأهدافه وعن العلمانية وحقيقتها، وعن مصادرهما ومصائرهما، يتضح أن هناك مسارًا منهجيًّاً مشتركًا بين المستشرقين والعلمانيين؛ إذ كانت القراءة الاستشراقية للنصوص قائمة على: ١- المنهج التشكيكي في الثوابت والقطعيات، فكان منهم افتراءات وأغاليط، عن طريق التشكيك في ثبوت القرآن الكريم وأصالته، وإنكار الوحي وزعموا أنه نتيجة الصرع، وإنكار المعجزات حيث رحلة الإسراء والمعراج وغيرها،٢- المنهج الانتقائي، حيث اجتزاء واقتطاع ما يمكن استغلاله كمدخل لتحقيق غاياتهم البحثية المشوبة، ٣- المنهج الافتراضي، حيث يفترضون ترتيبًا جديدًا لآيات القرآن الكريم، مخالفًا لما تقرر عند المسلمين، كما قالوا بفرضيةٍ حول سورة الجن، وأن الآيات الخاتمة للسورة تختلف كثيرًا في الشكل والأسلوب، وتظهر وكأنها قطعية غريبة وضعها جامعو القرآن أو كتبته – كما سيتضح في الافتراءات الواردة في تبليغ النبي ﷺ الرسالة-، أو أن هناك آيات اختلقت بعد وفاة النبي ﷺ وأدرجت في القرآن بعده[١]

(١) - دعوى التحريف في كتابة القرآن الكريم عند الحداثيين دراسة تحليلية نقدية، للباحثة/ بدرية راشد إبراهيم المسند المهندي، صـ٤٨ وما بعدها بتصرف، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة قطر،

– كما سيتضح في الافتراءات الواردة في قوله تعالى: " وأنت حلّ بهذا البلد–.

ولقد كان لهذا المذهب الاستشراقي انعكاسات على التيار العلماني؛ إذ قد تأثر به إيّما تأثر[١]، فقالوا ببشرية النص القرآني وأنسنته، وأنه قد تأنسنت نصوصه منذ تجسدت في التاريخ واللغة، وتحولت من كونه نصًّا إلهيًّا وصار نصًا إنسانيًّا[٢]، وهذا يؤدي إلى نزع قدسية القرآن والتشكيك فيه، والقول بتحريفه، ودراسته دراسة نقديّة، وقد أنكروا الوحي؛ إذ اعتبروه تصورًا ساذجًا وتقليديًّا[٣]، وقد أنكروا المعجزات؛ إذ قاسوها بمقياس العقل، وقالوا: من واجبنا أن نختار منها – أي المعجزات– ما لا يتعارض مع الفهم الذي ينسجم مع مبادئ اعقل ومعطيات العلم في عصرنا[٤].

وتظهر هذه المعاني بصورة أكثر إيضاحًا في تلك المطالب التالية، والتي تفصح عن مدى تأثر العلمانيين بالمنهج الاستشراقي:

(١) – فقد تنوع الأخذ عنهم تارة بالنقل والتلمذة على الكتب كما كان من عابد الجابري، ومحمد أركون، وهشام جعيط؛ إذ أكثروا من النقل في الأمور المتعلقة بالدراسات القرآنية والسيرة النبوية عن المستشرقين، ومن الثناء عليهم. ينظر: التراث والتجديد، صـ٣٢٢، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني صـ٢٠ وما بعدها، تاريخية الدعوة المحمدية في مكة صـ ٣١٥

(٢) – نقد الخطاب الديني، د/ نصر حامد أبو زيد، صـ١١٩.

(٣) – القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، محمد أركون، صـ ٧٧.

(٤) – مدخل إلى القرآن الكريم، د/ محمد عابد الجابري، صـ ١٨٩.

المطلب الأول:

بشرية القرآن ونزع القداسة.

طعن المستشرقون في القرآن الكريم من حيث أصالته وثبوته، وزعموا أنه من صنع محمد ﷺ ومن تأليفه أخذه من الديانات السابقة، ومن كتب الهنود القديمة ومن تعاليم عمرو بن زيد[١]، وتبعهم العلمانيون فاعتبروه منتجًا ثقافيًّا؛ إذ ليس كلام الله –تعالى– وليس وحيًا أنزل على النبي محمد ﷺ، وإنما هو " أنطولوجية" تعلن الحقيقة المطلقة عن العالم والتاريخ بكل العظمة والسيادة الخاصة بمؤلفه الله الواحد، وكما يقول أركون: "لقد رسخ القرآن مراتبية هرمية أو طبقية أنطولوجية ذات مستويين: الأول والأعلى هو مستوى المطلق التنزيهي المتعالي، والمستوى الثاني التجسيد التاريخي والعمل التاريخي المحسوس، أي العمل النبوي".[٢]

وتوسع الأمر لديهم فلم يَعُد القرآن الكريم مقتصرًا على تسجيل الأحداث التاريخية التي حصلت في زمن النبي محمد ﷺ، بل به تأثيرات ممن سبقه من الديانات كالمسيحية، فقد قال هشام جعيط: " .....كمورخين يجب أن نقر بتأثير المسيحية السورية على إسكاتولوجيا – وهي علم الأخريات أو علم آخر الزمان، وهو تعبير مستخدم في اللاهوت المسيحي- القرآن، وعلى قسط وافر من الأفكار والتعابير، وأن القرآن كنص من القرن السابع الميلادي، ووثيقة من هذه الفترة قد أخذ من موروثها ببراعة فائقة "[٣]، وهذ بدوره

(١) – تنوير الأفهام في مصادر الإسلام تستدال سنكلير، صـ ٢٩، وينظر: المستشرقون والقرآن الكريم صـ ٥٠، والسيرة النبوية وأوهام المستشرقين، صـ ٥٨.

(٢) – الإسلام والأخلاق محمد أركون صـ ٣٠.

(٣) – تاريخية الدعوة المحمدية صـ٣٦.

يؤدي إلى نزع هالة القداسة عن الوحي بتعرية آليات الأسطرة والتعالي التي يمارسها الخطاب في تعامله مع الأحداث والوقائع التاريخية أو مع التجارب والممارسات الإنسانية.[١]

وإذ قد خُلع عنه القداسة فقد أصبح خاضعًا للنقد وصالحًا للتحليل والتفكيك، وأن النقد (يجب أن يخرج بنتائج مناقضة للقرآن ومضادة لتعاليمه، فكل نقد يرسخ المعاني القرآنية ويؤكدها هو نقد تقليدي أيديولوجي تبجيلي، أم النقد الذي يرفض بعض العقائد القرآنية أو يسخر منها أو يستهزئ بالقرآن الكريم فهو الذي يسمى نقدًا تنويريًّا.....، وبذلك يصبح القرآن عبارة عن مجموعة من النصوص متبعثرة متفككة، فيحدث تمييع للتفرد القرآني من خلال ثلاثة عناصر: ١ – دمجه في إطار النصوص المحرفة والمزورة، ٢ – دمجه في إطار النصوص الإنسية البشرية، ٣– تمييع مفهوم الإعجاز).[٢]

(١) – التوظيف العلماني لأسباب النزول دراسة نقدية صـ ٢٣٧ وما بعدها بتصرف

(٢) – العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص صـ ٧٦٦ وما بعدها بتصرف.

المطلب الثاني:

إنكارهم للسنة النبوية المشرفة.

تتبوأ السنة النبوية في قلوب المسلمين مبوأ صدق، وتحتل مكانة عالية؛ إذ هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي، والمرتبة الثانية من مراتب التفسير بعد القرآن الكريم، وعليه فالطعن فيها تقويض للإسلام وهدم لبنيانه، وذلك ما يهدف إليه أعداء الإسلام من المستشرقين والعلمانيين، فهم يهدفون إلى " هدم الإسلام من خلال التشكيك في صحة نبوة الإسلام محمد ﷺ عن طريق الافتراءات الكاذبة والتفسيرات الباطلة، ويتم كل ذلك بأسلوب خبيث يعتمد على المغالطات ودس السموم الفكرية بصورة خفيّة متدرجة مع بتر للنصوص، وعدم الاهتمام ببيان صحة الأخبار المنقولة من كذبها".[1]

وهم يقصدون من وراء ذلك إسقاط أهم مصدر من مصادر التفسير، ألا وهو تفسير القرآن الكريم بالسنة النبوية المشرفة؛ إذ يعتبرونها مجموعة خرافات وهميّة أنشئت حول النبي ﷺ اخترعها الرواة والعلماء، وأنّه (قد استمرت عملية تشكيل الصورة الرمزية والقدسيّة المثالية لمحمد على هذا النحو طيلة أكثر من قرن في الأوساط المؤمنة تحت تأثير عوامل عديدة،...في الواقع أن الجزء الخرافي من سيرة النبي هو الأكثر إضاءة وأهميّة إذا ما أردنا القيام بدراسة النشأة التاريخية والسيكولوجية للوعي الإسلامي، وبدلًا من الاكتفاء بأحداث التضاد العقيم بين التاريخ الوضعي والاختزالي من جهة والعقائد الشعبية والتهويلات والمبالغات المفرغة من حقيقتها من جهة أخرى، فإنه قد أصبح ممكنًا اليوم توحيد حقل المعرفة عن طريق إعادة قراءة سيرة النبي.....)[2]، ولم يقتصر الأمر على تلفيق

(١) - الانحراف في فهم الحديث النبوي دراسة تأصيلية صـ ١٥١.

(٢) - الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون صـ ٧٦.

الرواة واختراع العلماء، بل قد ذهبوا إلى أن " الآيات القرآنية قد رافقت طيلة عشـرين عامًا الممارسـات السـياسـية والاجتماعية والثقافية للنبي، ففي الوقت الذي كان في النبي يعبر مباشـرًا وبشكل محسوس عن ممارسات وأهداف عمله ومشروعه كان القرآن يخلع لباس التعالي على هذه الأعمال والوقائع ويجعلها متسـامية ومتعالية عن طريق ربطها بالمطلق الأعلى وبالإرادة الغيبية لله (البداءة)".[١]

فما قالوه عن القرآن الكريم وبشـريته وأن نصـوصـه ليسـت إلهية ووحيًّا؛ إذ لو كانت كذلك لما فهمها البشـر، وأن النص القرآني مسـتقٍ من الواقع، فمن " الواقع تكوّن النص، ومن لغته وثقافته صـيغت مفاهيمه، ومن خلال حركته بفاعلية البشـر تتجدد دلالاته، فالواقع أولًا، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا "[٢]، قالوا مثله عن السنة النبوية، فهم يريدون (١- التحرر من سـلطة النص النبوي، ونبذ قدسـيته، ٢- إخضـاع النص النبوي لمحاكمة العقل والواقع ومناهج البحث العلمي، ٣- تاريخية النص النبوي).[٣]

(١) - الفكر الإسلامي قراءة علمية صـ ٧٢.

(٢) - نقد الخطاب الديني د نصر حامد أبو زيد صـ ٩٩.

(٣) - منطلقات الحداثيين في التعامل مع السنة النبوية د/ شيحة عبد الله علي المطوع صـ ٢٧١ وما بعدها بتصرف.

المطلب الثالث:

الهرمينوطيقا وإهمال السياق.

من القضـــايا التي يتم الاعتماد عليها، وتعتبر من أســباب الانحراف في التعامل مع النصــوص: التخلي عن الســياق، وتحرير العقل من النظر إلى المقاصــد والأهداف التي يقصــدها المتكلم من كلامه، وهو ما يعبر عنه بمفهوم الهرمنيوطيقا، والتي تعني: " الاعتماد على نفي المضـامين الحقيقية للنصـوص، وتعتبر أن النص لا ينضـوي، ولا بأي شـكل كان على كائن سابق أو لاحق على كتابته، وتجاهل زمنية الدلالات وسياقاتها؛ إذ لا وجود لزمن آخر غير زمن التعبير، وإحلال المغزى محل المعنى والدلالة مكان الدال، وإزاحة المعنى المركزي للنص، والدعوة إلى الانتقال من المعنى المفرد إلى المعنى المتعدد؛ لإحداث قطيعة معرفية بين النصوص ومقاصدها، والقول بأن النص وقراءته شيئان منفصلان، إقصاء مرجعية النص وسلطته، بل لإعلان عن موت المرجعية ونسج كفن المعاني القارّة، والأصول المحكمة، حتى لا ترى إلا ذاتية الفهم، وتعدد الدلالات، وهو ما عُبّر عنه بخصائص المقولة الباراتية- نسبة إلى زولان بارت حيث قال: لقد مات المؤلف بوصفه مؤسسا للنص ".[1]

إنهم بإهمال السياق يهدفون إلى نسبية النصوص ومعانيها والحكم عليها بالتاريخية أو بالتغيير؛ لأنها إما مقيدة بظروف الماضي ومقتصرة عليه فتكون تاريخية وإما متطورة ومتغيرة حيث ظروف الوقع ومتغيرات الزمان المكان، وكما يقول حســن حنفي: " الحقيقة أن المجمل والمبين يفســحان المجال للجهد البشــري من أجل اختيار أحد المعنيين طبقًا للظروف وتحقيقًا للمصــلحة، ويكشــفان عن أهمية الواقع وضــرورة الاختيار بين المعنيين

(١) - ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي صـ ٤٤ وما بعدها بتصرف .

طبقًا لمصالح الأمة ".[١]

فما وقع الانحراف في النصــوص إلا بإهمال المنحرفين للســياق وإهدارهم لأهدافه ومراميه، وكما يقول الشاطبي: (إن الناظر في الشريعة عليه أن ينظر إليها بعين الكمال لا بعين النقصــان، ويعتبرها اعتبارًا كليًّا في العبادات والعادات، ولا يخرج عنها ألبتة، لأن الخروج عنها تيه وضلال ورمي في عماية، فإن قومًا أغفلوه أيضا ولم يمعنوا النظر حتى اختلف عليهم الفهم في القرآن والسنة)[٢]، ذلك أن إعمال السياق في تفسير النصوص يرفع الغموض ويزيل الاشــتباه، ويبيّن المجمل؛ لأن الســياقات والقرائن دالة على مراد المتكلم من كلامه، وهي مرشــدة إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات، وهي الحامل لأهل الأهواء والبدع قديمًا عن الانحراف في تفسير النصوص الشرعية، وقد أصبح المنهج السياقي أو المنهج العملي من المناهج الحديثة، فقد كان يتزعمه العالم الإنجليزي " فيرث "، والذي أوضــح بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة.[٣]

وبهذا يتضح مدى تعامل المستشرقين مبدأ الكيل مكياليْن، ومدى تأثر العلمانيين بهم مما يدل على ضــعف الثقافة، وقلة البضــاعة؛ إذ ليســوا على علم حتى بالنظريات الحديثة لديهم، فضلًا عن أساسيات العلم وأبجدياته.

(١) – علم أصول الدين، علم أصول الفقه: العقل والنقل صـ ٧٠.

(٢) – الاعتصام ٢/ ٨٢٣.

(٣) – ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي د/ سعد بن مقبل بن عيسى الحريري صـ ٥٧، ٧٠ بتصرف

المطلب الرابع:

التفكيكية، وإهدار التراث.

تعتبر اللغة العنصر الأساس والرئيس في التفاهم والتخاطب؛ إذ اللسان عنوان البيان، والقرآن الكريم المعجزة الكبرى التي أعجزت الفصحاء وأفحمت البلغاء، ولذلك أصبحت معرفة اللغة والوقوف على أسرارها وعناصر تراكيبها من الأدوات التي يجب توافرها في مفسر القرآن الكريم؛ فالحاجة إلى اللغة في التفسير ضرورية وملحة، وإذ بأولئك المستشرقين الذي يسعون لهدم اللغة العربية، وبالعلمانيين الذين يريدون هدم الإسلام يقولون بإهدار التراث، وأن النص لم يعد يحمل المعاني التي تلبي حاجة العصر، ولا تجيب عن أسئلته، فأدوات الفهم تغيرت، كما تغيرت طبائع المخاطبين، وما كان صالحًا في القرون الأولى للرسالة لا يصلح لأيام الناس هذه، الأمر الذي دفعهم إلى تجديد اللغة التراثية بحجة جمودها وقصورها، وأنها لغة دينية تسودها ألفاظ تشير إلى موضوعات دينية خالصة، وكما يقول حسن حنفي: " إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم ما زالت تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التي نشأت بها هذه العلوم، والتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها المستقلة والتي تمنع –أيضًا – إعادة فهمها وتطويرها.....هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقًا لمتطلبات العصر، ومن ثمّ أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال".[1]

الأمر الذي دفعهم إلى التلاعب الشديد بالألفاظ عن طريق الكذب والتدليس، وإعادة معان لم تثبت في معاجم اللغة ولا عرفها أهل اللسان، وتارة باستخدام فرضيات علم

(١) – التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم صـ ١٠٩، الاتجاه اللغوي المنحرف في التفسير في العصر الحاضر د/ عبد الله بن إبراهيم المغلاج صـ٢١٠.

اللسانيات الحديث وإسقاطه على القرآن الكريم، وتارة عن طريق الأخطاء المتعمدة في فهم التراكيب والأساليب العربية وإهمال قواعد النحو والإعراب.[١]

فأخذوا يتدرجون في مراحل الهرمينوطيقا – وهي كلمة تعني المفسِّر أو الشارح- وهذا المصطلح يرتبط تاريخيا بالنصوص المقدسة والكتابات اللاهوتية وبإشكالية قراءتها وتأويلها، فأصبحت للكلمة استعمالات تقديسية، وظيفتها تفسير لغة الوحي الإلهي الغامض من أجل فهمها أولًا، ونقلها إلى الأوضاع الراهنة ثانيًا-، والتي منها: البنيوية والتي تعتمد على بنية النص وأنه بمعزل عن أي مرجعية خارجية عنه، والنص عبارة عن شبكة من العلاقات المغلقة داخل النص، وقد تنكرت هذه النظرة لمؤلف النص ومقاصده؛ لأنها تعبّر عن تيار فلسفي يقوم أساسًا على نفي الفاعل كيفما كان نوعه،..... ثم المرحلة التفكيكية، والتي تقوم أساسًا على نسف المعرفة الإنسانية، وتحطيم الثوابت التي تستند عليها، وقد نشأت في عصر خيّم فيه الشك على كل شيء، فقد دفعها إلى تبني فلسفة الشك، فشككت في النظام العام، وفي المعرفة، وفي قدرات العقل وصولًا إلى الشك في وجود مركز مرجعي خارجي يضمن الشرعية، ويمكّن اللغة من الدلالة....."."[٢]

(١) – التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم صـ٤٦٨، ٤٧٠.

(٢) – الاتجاه اللغوي المنحرف في التفسير صـ ٢٣٩ وما بعدها بتصرف.

المطلب الخامس:

ظاهرة التضارب والتناقض في كلامهم.

فقد كان هذا الأمر ظاهرًا بصورة ملموسة تجاه القضية الواحدة، وليس هذا التعدد من التطور في الفكر أو التراجع في الرأي، إنما هو التناقض؛ إذ يثبتون الرأي في قضية ويشيدون به بينما في موضع آخر ينفونه ويتهاجمون على قائله، فتارة ينفون النبوة وأخرى يثبتونها، و(تارة يتم الطعن في حجية السنة ذاتها والادعاء بأنها ليست وحيًا من الله، بل هذا من قبيل العادات والتقاليد الشائعة في البيئة العربية، وليس الرسول معصومًا، فضلًا عن أنها ملزمة للمسلم المعاصر لتاريخيتها واستحالة تطبيقها حاليًا، وتارة يتم الطعن في كتب السنة أو الصحابة أو الرواة أو منهج المحدثين عمومًا، كذلك من التناقض قراءتهم للتراث الإسلامي لاعتماد التفسير المادي الذي يرجع أصول هذا الفكر إلى أسباب مادية، سواء كانت سياسية أو غيرها بينما تغيب تلك النظرة في قراءتهم للفكر الغربي حيث ينظرون إليه باعتباره متجاوزًا للقارات ونسقًا معرفيًا يستهدف الحقيقة.....).[1]

وهذا التناقض كان نتيجة عدم المنهجية في التناول، فمنهجهم اللامنهج من حيث:

" ١- القصور في البحث، بمعنى: أنه لا يتم بحث الكلمة لغويًا إلا إذا كان المعنى اللغوي يخدم مرادهم، ٢- انعدام الأمانة العلمية عند النقل، فكثيرًا ما تنقل النصوص ولا سيما اللغوية مبتورة بحيث توهم معنى غير حقيقي، ٣- الكذب والتلاعب بالمفردات اللغوية وإطلاق ألفاظ على غير معانيها، ٤- القصور في المعنى العام للآية؛ إذ شرح المعنى العام للآية بعد ذكر مبحث لغوي (موجّه) هو السمة الغالبة لديهم، وهذا المعنى العام يكون في أضيق نطاق في الغالب غير شامل كل آية- ما يخدم المراد فقط-، ٥- لا يذكرون أيّة أقوال

(١) - التوظيف العلماني لأسباب النزول دراسة نقدية صـ ٣٣٤، ٣٥١.

للعلماء المعتبرين، وأحيانًا يعلق على المعنى الذي ذكره العلماء في تلك الآية على أســاس كونه المعنى الحرفي المتخلف الخال من أي معنى عصري.....وهكذا".[١]

(١) – التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم صـ٦٣٢.

المبحث الثاني:

افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها (الدراسة التطبيقية).

وفيه ثمانية مطالب:

المطلب الأول:

الافتراءات الواردة في اسم النبي ﷺ:

عند الآية (٢) من سورة محمد[١]، جاء في قرآن المؤرخين: "إنّ ذكر اسم (محمد) نادر جدًّا في القرآن؛ إذ يظهر أربع مرات فقط (ينظر سورة آل عمران: الآية مائة وأربعة وأربعين، وسورة الأحزاب: الآية أربعين، سورة الفتح: الآية تسعة وعشرين) قبل أن يصبح اسم علم، فإن المصطلح العربي محمد هو كلّ شيء صفة تعني " ممدوح " أو حتى " مختار " وهكذا، اعتبر بعض العلماء الغربيين منذ فترة طويلة أنه عندما يستخدم القرآن محمد فإنه يفعل ذلك مريدًا بها الصفة وليس مرادًا بها اسم العلم.....إنها مجرد لاحقة ألحقتها المرويات الإسلامية (التفسير والسيرة والحديث) فاستخدمت الصفة كاسم مناسب لتسمية نبي الإسلام.....من أن (محمد) الذي ورد في القرآن وفي النقوش الأولى أتى لوصف المسيح، وليس النبي العربي ".[٢]

فهم ينكرون شخصية النبي محمد ﷺ، ففي سورة البقرة الآية (١١٨) يقولون: "تدافع هذه الآيات عن نبي القرآن المجهول، والذي يقال إنه لا يبلغ إلا الحق"[٣]، وفي سورة آل

(١) - قوله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ".

(٢) - قرآن المؤرخين ٣/ ١٥٠١.

(٣) - قرآن المؤرخين ٢/ ٧٢.

عمران الآيات ١٣٨ – ١٤٨ يقولون: " ثم ذكر محمد بعد ذلك باسمه في الآية (١٤٤) " الآيات الأخرى التي ذكر فيها الاسم صراحة هي: سورة الأحزاب: ٤٠، سورة محمد: ٢، سورة الفتح: ٢٩".....من جهة أخرى لا نعلم ما إذ كان " محمد" يستخدم في الأساس كاسم علم أو كنعت: الذي يُحمد ".[١]

وجاء في كتاب: هل القرآن معصوم: " .....قال المسيح إنه بعد صعوده سيرسل إلى تلاميذه الروح القدس وأصله باللغة اليونانية: البارقليط، ومعناه المعزي، وهذه الكلمة تقارب في لفظها كلمة يونانية أخرى معناها مشهور أو ممدوح (وهو معنى اسم محمد) فظن محمد أن هذا الممدوح الذي سيرسله المسيح هو محمد، ومنشأ هذا الخطأ هو الالتباس بين الكلمتين اليونانيتين، ففهم العرب غير ما أراده المسيح".[٢]

---

(١) – قرآن المؤرخين ٢/ ١٣٣.

وقد تأثر بهذا المعنى وأشار إليه أحد العلمانيين العرب – ممن تشابهت قلوبهم وتتلمذوا على أيدي المستشرقين–؛ إنه هشام جعيط، فقال ما مفاداه: إن تسمية محمد لا ترد في القرآن إلا في المدينة من نزول الوحي، وأنه وردت أربع مرات ، كما ترد تسمية " أحمد " مرة واحدة في سورة مدنية كذلك، وعبارة " محمد" في العربية تعني المحمود كثيرًا، وأحمد من يحمد كثيرًا، علمًا بأن الحميد من صفات الله في القرآن، وأوضح أن عبارة " محمد" مأخوذة من السريانية، وادعى دليلًا على ذلك مستشهدًا بقول نولدكه من أنه كان يطلق على أهل الطبقة العليا من الغسانيين " البطارقة" ثم نقل السريان هذا اللقب إلى لغتهم بكلمة " محمدان " وأطلقوه على الأمراء الغسانيين، وتعني: الأمجد والأشهر، وأنها عبارة تفخيم ورفعة اتخذها النبي في المدينة بعد أن ارتفع مقامه لكنه أكسبها معنى دينيًّا وربطها بتراث المسيحية زيادة على معناها الدنيوي، ومحمد لقب وليس اسم، واللقب صفة تُلصق بشخص، وهو قليل الوجود في تلك الفترة عند العرب، وأن المصادر أخفت اسمه الأصلي وهو " قثم". تاريخية الدعوة المحمدية صـ ١٤٧، ١٤٨ بتصرف.

(٢) – هل القرآن معصوم عبد الله عبد الفادي صـ ١٨٦.

مضمون هذه الافتراءات:

إنها قامت على مجموعة من المغالطات العلمية والمخالفات المنهجية؛ ليهدف من وراء ذلك كله إنكارًا لشخصية النبي محمد ﷺ وعدم معرفة اسمه؛ إذ هي – عندهم في افتراءاتهم- مجهولة الاسم، وعليه فلا سنة ولا شرع، وإن تعجب فعجب قولهم؛ إذ يعولون على المصطلح العربي حيث الأصل الاشتقاقي، وسرعان ما يتركون المعنى المراد وما تعورف عليه عند العرب إلى ما يقوله الغربيون، واتهام القرآن بالتقصير؛ إذ لم يرد اسم " محمد " في القرآن إلا أربع مرات فقط، واتهام التراث الإسلامي بعدم الدقة ووجود اللبس والاختلاط فيه، كما أنهم تارة يوردون الكلام على سبيل الجزم وأخرى على سبيل الشك، وهكذا .

الردّ:

إن من جمال اللغة العربية الأصل الاشتقاقي والجذر اللغوي لألفاظها وكلماتها ذلك الذي قامت عليه العلوم العربية بمدارسها المختلفة ومناهجها المتعددة، وأصبح له قوانين وقواعد في التعامل معه، وأبانت بأن كل اسم له دالٌّ ومدلول، فـ " سعد " تدل على السعادة ومدلولها الشخص، وهكذا، واسم "محمد " قد ورد في العرب من تسمى به قبل مجيء النبي سيدنا محمد ﷺ، فقد " ذكر السهيلي أنه لا يُعرف في العرب من تسمى قبل النبي ﷺ إلا ثلاثة: محمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن أصحية بن الحلاج، ومحمد بن حمران بن ربيعة"، وقد ذكر ابن حجر غيرهم حتى أوصلهم خمسة عشر شخصًا ".[1]

وقد بيّن لنا النبي ﷺ أسماءه بما لا يدع مجالًا للشك، فقد أخرج البخاري عن جبير بن مطعم قال: قال رسول الله ﷺ: "لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي

(١) – الروض الأنف للسهيلي ٢/ ١٥١، فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٦/ ٥٥٦.

يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب".

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم، يشتمون مُذمّما ويلعنون مذممًا، وأنا محمد".(١)

وجه الدلالة من هذين الحديثين:

التعويل على ذكر اسمه ﷺ، وأنّ اسمه محمدًا، وهذا الاسم مما تسمى به في مكة، وعليه فأهل مكة ليسوا بحاجة إلى ذكر اسمه، ولذلك لم يرد ذكر اسم "محمد " في السور المكية، وإنما ذُكر بأوصاف بينت حاله وشأن دعوته.

والناظر في سياقات الآيات الأربع التي ذكرت اسم " محمد " يجد أنها كلها مشفوعة بوصف الرسالة، وهي تفيد أن (محمدًا رسول كمن مضى من الرسل، بلّغ عن الله كما بلغوا، وليس بقاء الرسل شرطًا في بقاء شرائعهم، بل هم يموتون وتبقى شرائعهم يلتزمها أتباعهم، فكما مضت الرسل وانقضوا، فكذلك حكمهم هو في ذلك واحد)(٢)، وفيه بيان أن الرسالات ختمت به فليس ثمت شرع جديد بعده، ولا استنباء نبي بعده مطلقًا، وفي هذا إغلاق الباب على أهل الكتاب، ولذلك ختم الله إحدى الآيات بما جاء من وصف له وللمؤمنين معه في التوراة والإنجيل.

وقد جاء في التوراة والإنجيل ما يدل على البشارة بالنبي محمد ﷺ وبنبوته، فقد نقل رحمة الله الهندي من النصوص ما دلت على بشارته ﷺ.(٣)

---

(١) – الحديثان أخرجهما البخاري في صحيحه: كتاب المناقب، باب: ما جاء في أسماء النبي ﷺ ٤/ ١٨٥ ح (٣٥٣٢)، ح (٣٥٣٣).

(٢) – البحر المحيط في التفسير٣/ ٣٦٣، روح المعاني للآلوسي٣/ ١٠٠.

(٣) – إظهار الحق٢/ ٢٨٥ وما بعدها، تفسير المنار ٩/ ٢١٧ وما بعدها.

وقد أجمعت الأمة منذ عهد الصحابة على أن اسم نبي الإسلام "محمد " ﷺ، بل إن أعداء النبي ﷺ من الكفار واليهود المعاصرين له ﷺ كانوا ينادونه باسم " محمد"[1] صلوات الله وسلامه عليه.

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

(١) – الاتجاه المنحرف في التفسير صـ٣٢٩.

المطلب الثاني:

الافتراءات الواردة حول موت النبي ﷺ.

عند الآية (٣٠) من سورة الزمر[١]، جاء في قرآن المؤرخين: " تشهد الآية (٣٠) أن النبي الحالي الذي جاء بالقرآن سيموت مثل أي شخص آخر، وبالتأكيد هذه الآية ليست الوحيد التي تؤكد هذا المعنى: ففي مواجهة الجدل الدائر حول دور محمد النبوي، حيث كانت أحد الانتقادات الموجهة إليه أنّه ليس ملاكًا –وبالتالي فهو غير قادر على الادعاء بأنه ينقل رسالة إلهية- يجيب النص بالنفي، فالنبي الحالي هو بالفعل إنسان مثل الآخرين؛ بالإضافة إلى أن الله على العكس من ذلك، يرسل دائمًا رسالاته إلى البشر إلا أنّه جاء في بعض الأحاديث أن أصحاب محمد تفاجئوا بوفاته، وبالأخص عمر، مما يدل أنّ محمد كان يعتقد أنّه لن يموت قبل أن تأتي الساعة، كما ذكرت بعض الأحاديث أن أبابكر ذكر هذه الآية للإشارة إلى أن محمد سيموت مثل الآخرين، أي: مثل الرسل السابقين؛ لذلك بدأ نقاش بين العديد من المستشرقين (مثل ساس، ويل، نولدكي) لمعرفة ما إذا كانت هذه الآية قد ألّفت في وقت متأخر، وأضيفت بعد وفاة محمد، وذلك بهدف الإجابة على اللبس الذي حدث في مجتمع المؤمنين الناشئ الذين يرون أنّ الساعة – وأن يشهدها محمد في حياته- تبدو وشيكة، وهناك إضافة متأخرة تعدّ منطقية، ومصحوبة بالآية التالية.....٠ ".[٢]

وفي سورة غافر الآية (٧٧)[٣]، قالوا: ".....تشير الآية إلى أن النبي الحالي إما أن يعيش حتى يرى العذاب يحلّ بأعدائه – وربما يكون الحديث ضمنيًّا عن عذاب اليوم الآخر- وإما

(١) – وهو قوله تعالى: " إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ".

(٢) – قرآن المؤرخين ٢/ ٢١٥.

(٣) – وهو قوله تعالى: " فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ".

أن يموت قبل حدوث ذلك، غير أن كازانوفا – بعد ما استند على العديد من المقاطع القرآنية- يرى أن محمدًا قد وعِد بشيء محدد؛ وهو أن يرفعه الله إليه حتى قيام الساعة، أو بمعنى آخر أن محمدًا اعتقد أنه لن يموت قبل نهاية العالم الوشيكة".[1]

مضمون هذه الافتراءات:

إنها تقوم على التجني والافتراء حيث ادعاء أن محمدًا ﷺ كان يعتقد الخلد وعدم الموت، وهذا من شأنه يؤدي إلى إنكار السنّة النبوية، ومخالفة النبي ﷺ – وحاشاه ﷺ- لتعاليم القرآن الكريم ولأقواله التي تحثّ على الاستعداد للموت، وأيضًا التحريف للقرآن الكريم حيث زيدت فيه آيات بعد موت النبي ﷺ، وأيضًا مخالفة المنهجية فالأحاديث التي ينكرونها ويقولون بعد ثبوتها وصحتها يستشهدون بها حيث إن الصحابة تفاجئوا بوفاته ﷺ، وقد أعانهم على هذا التفسير المنحرف إهدار السياق والتفكيكية.

الردّ:

لا يفتأ أعداء الإسلام من الطعن في القرآن الكريم عن طريق التشكيك في مصدره، وعدم ثبوت جمعه في عهد النبي ﷺ، وأنّه قد دخله التحريف تارة بالزيادة وأخرى بالنقص، وأن النبي ﷺ قد مات ولم يكن القرآن قد جمع، فقد قال المستشرق هنري ماسيه (H.Masse): " عند وفاة محمد لم يكن هناك أية مجموعة للنصوص القرآنية قررت بشكل نهائي، وما من شك في أن عددًا من مجموعة الوحي الأول لم تكن قد حفظت....."[2]، وزعموا دليلًا على ذلك من أن قوله تعالى: " وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ "[3]، وقوله: " إِنَّكَ

(١) – قرآن المؤرخين ٢/ ٢٤٠.

(٢) – الإسلام هنري ماسيه صـ ١٠٥ نقلا من المستشرقين والقرآن الكريم صـ ١٠٧.

(٣) – سورة آل عمران من الآية (١٤٤).

مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ "[١] من كلام أبي بكر قاله عندما علم الصحابة بموت النبي ﷺ ، وهذا زعم باطلٌ، فـــ (هذه الآية – كما ترى- لا يشم منها رائحة أنها من كلام أبي بكر، بل هي تحمل في طيّها أدلة كونها من كلام الله، وأنّ الصحابة يعلمون أنها من كلام الله، نزلت قبل أن ينزل بهم هذا الخَطْب الفادح ببضع سنين، ولكن ما الحيلة فيمن أعماهم الهوى والتعصب).[٢]

فالقرآن الكريم (هو الكتاب السماوي الوحيد الذي وعد الله –تعالى – بحفظه، ووعد الله لا يتخلف، فقد حفظه الله من التحريف والتبديل والزيادة والنقصان، ولم يذهب منه حرف واحد، ولم يتغير فيه شيء من شكله ولا ضبطه، بل كان محفوظًا بعناية الله – تعالى- من وقت أن تلقاه رسول الله ﷺ عن جبريل عن ربّ العزة –عزّ وجلّ-، .....فقد حظي القرآن بأوفى نصيب من عناية النبي ﷺ وأصحابه فلم تصرفه عنايتهم بحفظه واستظهاره عن عنايتهم بكتابته ونقشه في السطور بعد أن حفظوه واستظهروه، ونقشوه في صفات الصدور....).[٣]

ومع كل هذه المعاني الرائعة والجهود المبذولة ركب أهل الأهواء عقولهم، وظنوا أنهم ينالون من قدر القرآن الكريم – وأنى لهم هذه-، وإذ بهم وعن طريق بتر النصوص وقطعها عن سياقها يفسرون قوله تعالى: " إنك ميت وإنهم ميتون" بهذا التفسير المنحرف، ولو أنهم تأملوا نظم الآيات لعلموا أنها جاءت في سياق المعرضين عن الحق بعد إفراغ الجهد في دعوتهم إليه وإيضاح الحجج الدالة عليه، وأنّه (لما لم يلتفتوا إلى هذه الدلائل الباهرة، أخبر

(١) – سورة الزمر الآية (٣٠).

(٢) – مناهل العرفان في علوم القرآن ١/ ٢٣٣ وما بعدها بتصرف.

(٣) – شبهات مزعومة حول القرآن الكريم للشيخ/ محمد الصادق قمحاوي صـ٢١٠.

الجميع بأنهم ميتون وصائرون إليه، وأن اختصامكم يكون بين يديه يوم القيامة، وهو الحكم العدل، فيتميز المحق من المبطل، وهو – عليه السلام – وأتباعه المحقون الفائزون بالظفر والغلبة، والكافرون هم المبطلون)[1]، ومعنى الآية: "إنك ستموت وإنهم سيموتون، والشيء إذا قرب من الشيء يسمى باسمه فلا بد لكلٍّ من الموت قريبًا وبعيدًا وكل آت فهو قريب، وإنما عبّر بالميّت؛ لأن الميّت – بالتشديد-: من لم يمت وسيموت، والميت – بالتخفيف -: من قد مات وفارقته الروح ".[2]

وفي آية سورة غافر: " أمر الله –تعالى – نبيه بالصبر تأنيسًا له، وإلا فهو – عليه السلام- في غاية الصبر، وأخبر أن ما وعده من النصر والظفر وإعلاء كلمته وإظهار دينه حق، فهو سبحانه لما تكلم من أول السورة إلى هذا الموضع في تزييف طريقة المجادلين في آيات الله، أمر في هذه الآية رسوله بأن يصبر على إيذائهم وإيحاشهم بتلك المجادلات ".[3]

كما أكدت السنّة النبوية المشرفة وبيّنت مدى تذكر النبي ﷺ للموت واستعداده له والإكثار من ذكره، بل ودعوة الصحابة والأمّة إلى تذكره صباحًا ومساءً، سفرًا وحضرًا، فرادى وجماعات، قيامًا وقعودًا، ذكرًا وأنثى، فكان يقول: " ألا أيها الناس، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيبه"[4]، ويقول: " إني والله ما أدري لعلي لا ألقاكم بعد

(١) – البحر المحيط لأبي حيان ٩/ ١٩٨، روح المعاني للآلوسي١٢/ ٣٦٦، التحرير والتنوير٢٣/ ٤٠٣.

(٢) – روح البيان ٨/ ١٠٥، فتح القدير للشوكاني٤/ ٥٣٠، مدارك التنزيل للنسفي ٤/ ٥٦.

(٣) – البحر المحيط ٩/ ٢٧٤، مفاتيح الغيب للرازي٢٧/ ٥٣٣.

(٤) – أخرجه الدارمي في سننه: باب فضل من قرأ القرآن٤/ ٢٠٩٠ ح (٣٣٥٩) عن زيد بن أرقم.حديث صحيح.

يومي هذا بمكاني هذا٠٠"[١]، ويقول: " إن عبدًا خيّره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا، وبين ما عنده، فاختار ما عنده٠٠"[٢]، ويقول: " أكثروا ذكر هاذم اللذات" يعني: الموت.[٣]

وبعد ذلك كله يقولون: "كان يعتقد أنه لن يموت قبل هذه الساعة"، " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا"[٤]، حقًا " فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ".[٥]

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

(١) – أخرجه الدارمي في سننه: باب الاقتداء بالعلماء ١/ ٣٠١ ح (٢٣٣) عن جبير بن مطعم. حديث صحيح.

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه: ك: المناقب، ب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٥/ ٧٥ ح (٣٩٠٤) عن أبي سعيد الخدري.

(٣) – أخرجه الترمذي في سننه: أبواب الزهد، باب: ما جاء في ذكر الموت٤/ ٥٣٣ ح (٢٣٠٧) عن أبي هريرة، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٤) – سورة الكهف من الاية (٥).

(٥) – سورة الحج من الآية (٤٦).

المطلب الثالث:

الافتراءات الواردة حول إنكار الوحي.

عند الآية (١) سورة المزمل وسورة المدثر[١]، جاء في قرآن المؤرخين: " وعلى كلّ حال فإن النسخ الأصلية من هاتين السورتين (أي: المزمل والمدثر) يمثلان بالتأكيد جزءًا من النص القرآن القديم، يواصل العديد من الباحثين الحديث عن (الوحي القديم) والذي يثير العديد من المشاكل من الناحية المنهجية ليس فقط لأن مفهوم الوحي (الذي يفترض مسبقًا التعالي) يقع ضمن العقيدة الدينية بل لأنه غريب على المفردات التي يستخدمها المؤرخ الذي يعمل على وثائق قديمة، حتى لو كان الأمر مجرد تسمية، فإن استخدام مصطلح (الوحي) مضلل جدًّا مقارنة بغيره من المصطلحات، ذلك لأنه يطمس مراحل من عملية تكوين النص؛ علاوة على ذلك، فإنه يؤدي أحيانًا دون وعي إلى رؤية النص المدروس على أنه بيان لحالة حدثت في مكان وزمان محددين بل ويعكس الحالة النفسية والتجربة الروحية لمحمد (وكذلك السياق المكي الذي لا نعرف عنه الكثير) مما يجعلنا نهمل مراحل إعادة الكتابة والتحرير التي تعرض لها النص، إن النص الذي بين أيدينا اليوم ليس تسجيلا لكلام محمد (وبالتالي ليس تسجيلا للخطاب الإلهي أو الملائكي الذي استقبله محمد، ولا حتى الخطاب النفسي الذي كان يوجهه لنفسه) بل هو نص مكتوب في غاية الغموض حتى بالنسبة للمفسرين الأوائل من المسلمين، وأن دراسة النص تقوم من خلال أدوات التحليل الأدبي والتاريخي النقدي، وليس المنهج الافتراضي الذي سيجعل النص مجرد انعكاس مباشر لتجربة محمد، .....جاء في الدراسات الاستشراقية من أن محمدًا اتبع ما كان شائعًا لدى الكهنة والعرافين من أنهم كانوا يغطون رؤوسهم بحثًا عن الإلهام، وأنه

(١) – وهو قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ "، وقوله سبحانه: " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ".

عندما كان يُصاب محمد بنوبات صرع، كان يلف نفسه بالثياب ولم تكن هذه الممارسات بناء على اعتبارات صحيّة، ولكن بناء على خوف خرافي، وهو الخوف من الجنون والمس، حيث كان معروف لدى العربي أن الأرواح أو الجن يمكن أن يتلبسوا الإنسان،.....وآيات المدثر كانت في الأصل ترنيمية مسيحية، وأنه تم تغميض وتغيير نصها".[١]

مضمون هذه الافتراءات:

تقوم هذه الافتراءات على:

١ – هدم الدين ككل، وإسقاط بنيان الشرائع كلها؛ إذ ليست ظاهرة الوحي خاصة بالنبي محمدﷺ، بل هي عند كل الأنبياء.

٢ – أنسنة النص وبشريته من خلال دراسته دراسة تقوم على التحليل الأدبي التاريخي النقدي.

٣– إثبات علاقة بين النص والواقع، والتي تنتهي إلى نتيجة واحدة، وهي " نفي المصدر الإلهي للقرآن الكريم وللوحي والنبوة، والنظر إلى ذلك كله بمنطق مادي صرف، يرى أن القرآن ليس سوى إفراز وانبثاق من واقع معين في جزيزة العرب في حقبة تاريخية معينة".[٢]

(١) – قرآن المؤرخين ٢/ ٥١٩ وما بعدها بتصرف

وفي الآية (٢٧) من سورة الفتح، جاء في قرآن المؤرخين٢/ ٤٩٤: "٠٠٠فالأمر يتعلق هنا بالتأكيد الإلهي على أن النبي وأصحابه سيقومون بالحج إلى مكة كما هو منصوص عليه في معاهدة الحديبة، ويهتبر بلاشير: أن هذه الآية لاحقة لأداء الحج الذي من المفترض أن يكون قد حدث في عام (٦٢٩) وفقا للتراث، فوفقًا له إما أن تكون هذه الرؤية مجرد هلوسة " للنبي" أو حلم ".

(٢) – التوظيف العلماني لأسباب النزول دراسة نقدية صـ ١٨٠.

الردّ:

الوحي حقيقة شرعيّة، ويقينة علميّة، وإمكانية عقلية، ذكر أدلته الشرع الحنيف، وقرّب صورته العلم الحديث، ودلل العقل على إمكانيته[١]؛ إذ هو عبارة عن الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره، وهو على "أنواع شتى: منه ما يكون مكالمة بين العبد وربه كما كلم الله موسى تكليمًا، ومنه ما يكون إلهامًا يقذفه الله في قلب مصطفاه على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له دفعًا ولا يجد فيه شكًّا، ومنه ما يكون منامًا صادقًا يجيء في تحققه ووقوعه كما يجيء فلق الصبح في تبلجه وسطوعه، ومنه ما يكون بوساطة أمين الوحي جبريل عليه السلام ، وذلك النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها، ووحي القرآن كله من هذا القبيل "[٢]

ويكفي في الرد على فِرية الصرع وحالة الهستيريا ما قاله المستشرق ر.ف.بودلي (R.v.Boly): " يذكر الأطباء أن المصاب بالصرع لا يفيق منه، وقد ذخر عقله بأفكار لامعة، وأنه لا يصاب بالصرع من كان في مثل الصحة التي يتمتع بها (محمد) حتى قبل مماته بأسبوع واحد، وما كان الصرع يجعل من أحد نبيًّا أو مشرعًا، وما رفع الصرع أحدًا قط إلى مركز التقدير والسلطان يومًا، وكان من تنتابه مثل هذه الحالة في الأزمنة الغابرة يعتبر مجنونًا أو به مس من الجنّ، ولو هناك من يوصف بالعقل ورجاحته فهو (محمد) ولا شك ".[٣]

والقرآن الكريم به من كمال الربوبية، وكبرياء الألوهية، ما يدل على أنه من عند الله – تعالى–؛ إذ فيه من الأحكام التشريعية، والحقائق العلميّة، والأخبار الغيبية ما لا يقدر على

(١) – ينظر: مناهل العرفان ١/ ٥٦ وما بعدها.

(٢) – مباحث في علوم القرآن لـ مناع القطان صـ٣٢، مناهل العرفان ١/ ٦٢.

(٣) – المستشرقون والقرآن صـ ٣٦، وينظر: الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم صـ١١٩.

إتيانها إنس ولا جآن، " قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ".(١)

وأما آيتا المزمل والمدثر فإن جمهور المفسرين على أن لهما سبب نزول يزيل الإشكال عنهما ويرفع الإلباس، ويبين المعنى المراد، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: " فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبًا، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأنزل الله تعالى: (يا أيها المدثر)(٢)، وعلى هذا نزلت " يا أيها الزمل"، وقال عكرمة: معناها: المزمل للنبوة وأعبائها، أي: المشمر المجد، فعلى هذا يكون التزمل مجازًا (٣)، وورد أنها على الحقيقة؛ إذ المزمل: اسم فاعل من تزمل فلان بثيابه، إذا تلفف فيها، وأصله المتزمل، فأدغمت التاء في الذال، وافتتح الكلام بالنداء للتنبيه على أهمية ما يلقى على المخاطب من أوامر ونواهٍ، وفي ندائه ﷺ بلفظ المزمل: تلطف معه، وإيناس لنفسه، وتحبب إليه حتى يزداد نشاطًا وهو يبلغ رسالة ربّه، وكذلك المدثر: اسم فاعل من تدثر فلان إذا لبس الدثار، ففيه الملاطفة والمؤانسة في النداء والخطاب.(٤)

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

(١) – سورة الإسراء الآية (٨٨).

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه: ك: التفسير، ب: " وثيابك فطهر " ٦/ ١٦٢ ح (٤٩٢٥)، ومسلم في صحيحه: ك: الإيمان، ب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ١/ ١٤٣، ح (١٦١).

(٣) – المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٦، البحر المحيط ١٠/ ٣١١.

(٤) – التفسير الوسيط للقرآن الكريم أ.د/ محمد سيد طنطاوي ١٥/ ١٥٢، ١٧٣.

المطلب الرابع:

الافتراءات الواردة حول شق صدره الشريف ﷺ.

عند الآية (١) من سورة الشرح[١]، جاء في قرآن المؤرخين: " يشير التفسير الحرفي للآية الأولى (ألم نشرح لك صدرك) إلى القصة الشهيرة، وهي شق وتطهير صدر محمد، وهذه آية لها مثيل في القرآن، مما يجعل من المحتمل أن يكون هذا النوع من الاعتقاد هو الأصل: انظر في هذا الصدد الآية (٢٢) من سورة الزمر: (أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، وإذا أخذنا في الاعتبار التسلسل الزمني، يمكننا أن نعتقد أن هذه الآية تشير إلى الآية الأولى من سورة الشرح، وأن الذي شرح الله صدره هو رسول القرآن، ومع ذلك يمكن أن يكون الذي شرح الله صدره هي تعبير مجازي للإشارة إلى المؤمن الذي يؤمن بالله، هذا التفسير هو ما أكده التعبير المستخدم مع موسى في الآية (٢٥) من سورة طه: (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) أو مع أي مؤمن كما في الآية (١٢٥) من سورة الأنعام: (فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ)، لذلك يرى كازنوفا: أن التأكيد على شق الصدر في الآية الأولى من سورة الشرح يجب أن نعتبره كشفرة غامضة".[٢]

مضمون هذه الافتراءات:

تقوم هذه الفِرية على ١- تقديس المادة والعقل؛ إذ اعتبروا ما لا يقبله العقل بمثابة شفرة غامضة، مع العلم بأن للعقل دورًا لا يتعداه، وأن في سير الأنبياء خصوصيات لا تخضع

---

(١) - وهو قوله تعالى: " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ".

(٢) - قرآن المؤرخين٢/ ٧٤٧.

للعقل[١]،

٢- التصيّد لثغرات السابقين وزلاتهم؛ إذ هذه الشبهة قديمة حديثة فقد أنكر القاضي عبد الجبار المعتزلي قصة شق الصدر، وطعن في الرواية الواردة في شأنه[٢]، ومن المحدثين "سيرموير" فقد اعتبرها نوبة عصبية، و"درمنغم" فقد اعتبيرها ذات مغزى فلسفي، وأنه لا أساس لها سوى آية سورة الشرح،[٣]

٣-ترجيح المرجوح وتقوية الضعيف؛ إذ إن " حمل الشرح في الآية على الشق ضعيف عند المحققين"،[٤] هذا بالإضافة إلى إنكار السنّة النبوية.

الردّ:

شق صدره الشريف ﷺ وقع عدة مرات، أوصلها بعضهم أربع مرات[٥]، وقد جاء في الصحيحين[٦] ما يدل على تحققها ووقوعها، وأن الحديث الوارد فيها " محمول على

(١) - محمد ﷺ منهج ورسالة- بحث وتحقيق٢/ ٩٢.

(٢) - طعن فيها من عدة (وجوه: أحدها: أن الرواية أن هذه الواقعة إنما وقعت في حال صغره عليه السلام وذلك من المعجزات، فلا يجوز أن تتقدم نبوته وثانيها: أن تأثير الغسل في إزالة الأجسام، والمعاصي ليست بأجسام فلا يكون للغسل فيها أثر ثالثها: أنه لا يصح أن يملأ القلب علما، بل الله تعالى يخلق فيه العلوم). ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٣٢/ ٣.

(٣) - السير النبوية في ضوء القرآن والسنة ١/ ١٩٩، وممن أنكرها ذلك محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد صـ١٢٧، وعبد الكريم الخطيب في التفسير القرآني للقرآن ١٦/ ١٦٠٦.

(٤) - تفسير الآلوسي١٤/ ٥٣٦، وينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي٩/ ٥١٧.

(٥) - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد٢/ ٥٩.

(٦) - البخاري في صحيحه: ك: بدء الخلق، ب: ذكر الملائكة ٤/ ١٠٩ ح(٣٢٠٧) عن مالك بن صعصعة، ومسلم في صحيحه: ك: الإيمان، ب: الإسراء برسول الله ﷺ ١/ ١٤٧ ح (١٦٢) عن أنس.

ظاهره وحقيقته؛ إذ لا إحالة في شيء منه عقلًا، ولا يُستبعد من حيث إن شق الصدر وإخراج القلب موجب للموت، فإن ذلك أمر عاديٌّ، وكانت جُلّ أحواله ﷺ خارقة للعادة"[1]، وأن الغرض من هذا الشق وجود حصانة له ﷺ منذ طفولته تقصيه عن مزالق الضيق الإنساني ومفاتن الحياة الأرضية، وأنه كناية عن تعداد نعم الله تعالى على سيدنا محمد ﷺ فنوره بالحكمة ووسعه لتلقي الوحي، وأن ذلك هو رأي الجمهور والأكثرين من المفسرين[2]؛ لأنه " لما كانَ الصدرُ محلًا لأحوالِ النفسِ ومخزنًا لسرائرِها من العلومِ والإدراكاتِ والملكاتِ والإراداتِ وغيرِها عبرَ بشرحِه عن توسيعِ دائرةِ تصرفاتِها بتأييدِها بالقوةِ القدسيةِ وتحليتِها بالكمالاتِ الأُنسيةِ، أيْ: ألمْ نفسحْهُ حَتَّى حَوَى عَالَمِيْ الغيبِ والشَّهادةِ، وجمعَ بينَ مَلكَتِيْ الاستفادةِ والإفادةِ، فمَا صدَّكَ الملابسةُ بالعلائقِ الجسمانيةِ عنِ اقتباسِ أنوارِ الملكاتِ الروحانيةِ، وَمَا عاقكَ التعلقُ بمصالحِ الخلقِ عن الاستغراقِ في شؤونِ الحقِّ ".[3]

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

---

(١) – المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم لأبي العباس القرطبي٢/ ١٤٧.

ويذكر العلماء أن الأمور الحاصلة له ﷺ بعد البعثة إلى وفاته، فهي معجزة، وأما الأمور الحاصلة له بين يدي أيام مولده وبعثته، وقبل ذلك من الأمور الخارقة للعادة الغريبة الموهنة للكفر، التي يعجز عن بلوغها قوى البشر، ولا يقدر عليها إلا خالق القوى والقدر، فهي إرهاصات وتأسيسات للرسالة، وهي إذا تليت على قلب المؤمن زادته إيمانًا، وإذا تفكر فيها ذو البصيرة واليقين زادته إيقانًا، فإن كلّ من أرسله الله –عزّ وجلّ– لم يخله من أية أيده بها مخالفة للعادات. إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون٣/ ٣٩٠.

(٢) – ينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٤٩٦، البحر المحيط١٠/ ٤٩٩، التفسير المنير لوهبة الزحيلي٣٠/ ٢٩٤، فقه السيرة لمحمد الغزالي صـ٥٥.

(٣) – إرشاد العقل السليم٩/ ١٧٢.

المطلب الخامس:

الافتراءات الواردة حور دور النبي في تبليغ الرسالة.

عند الآية (٢٣) من سورة الجن[١]، جاء في قرآن المؤرخين: "هنا يصر القرآن على حقيقة أن رسالة نبي القرآن تشير إلى أن طاعته واجبة كطاعة الله، ويُقال: أنّ محمد قد طور مفهوم الطاعة الواجبة له في مرحلة متأخرة من الدعوة، يرى أصحاب هذا الرأي (بناء على استدلال دائري) أن قوله: "ورسول " مجرد إضافة متأخرة، ويرى كلٌّ من "بارث، وبيل، وبلاشير: أن المكان الأصلي للآية (٢٣) كان بعد الآية (٢١)، لكنها نُقلت لاحقًا من مكانها إلى المكان الحالي –وقالوا عن الآية التي بعدها- تبدأ هذه الآية بكلمة (حتى) لكن على ما يبدو أن مكانها الطبيعي ليس بعد الآية (٢٣)، ولكن بعد الآية (٢٦)، وقد اعتبر (بيل) أن هذه الآية –في بداية الأمر- كانت في نهاية السورة، وذلك قبل إضافة الآيتين: ٢٧، ٢٨، واللتان تؤكدان على أن النبي يمكنه معرفة بعض الأمور الغيبية....."[٢].

مضمون هذه الافتراءات:

تقوم هذه الشبهة على فِرية لطالما نادى بها المستشرقون وتبعهم العلمانيون، بل وسعوْا إلى تحقيقها، ألا وهي إعادة ترتيب آيات القرآن وسوره، فقد "زعموا أن الترتيب الحالي للقرآن والمعروف لدى المسلمين ترتيب خاطئ وضع كيفما اتفق، فسور وآيات وضعت في الآخر، وكان عليها أن تكون في الأول، والعكس صحيح"[٣]؛ إذ هناك اختلاف بين أسلوب القرآن في المرحلة الأولى عنه في المرحلة المتأخرة، وهم بهذا يهدفون إلى القضاء على أهم سمة من سمات إعجاز القرآن الكريم حيث النظم القرآني.

---

(١) - وهو قوله تعالى: " إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا".

(٢) - قرآن المؤرخين٢/ ٥٩٠ بتصرف

(٣) - المستشرقون والقرآن الكريم صـ١٢٥.

وعلى وجود تحريف في القرآن الكريم؛ حيث زيادة كلمة "ورسوله "؛ إذ هي مجرد إضافة متأخرة، مما يفقد الثقة في القرآن الكريم، وفي تحقق حفظه.

الردّ:

إن ترتيب الآيات في القرآن الكريم أمرٌ لا يخضع للرأي والاجتهاد؛ إذ هو أمرٌ توقيفي، فـ(لا سبيل إلى معرفة آيات القرآن الكريم إلا بتوقيف من الشارع؛ لأنه ليس للقياس والرأي مجال فيها، إنما هو محض تعليم وإرشاد، وعليه انعقد إجماع الأمة على أن ترتيب آيات القرآن الكريم على هذا النمط الذي نراه اليوم بالمصاحف كان بتوقيف من النبي ﷺ عن الله –تعالى–، وأنه لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، هذا بالنسبة لترتيب الآيات، أما ترتيب السور فينبغي احترامه؛ إذ قد أجمع الصحابة عليه، والإجماع حجة، وأن خلافه يجرّ إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسدّ ذرائع الفساد واجب ".[1]

والقرآن الكريم اشتمل على أساليب كلام العرب، ولم يقتصر على ذلك، بل ابتكر أساليب جديدة لم يكونوا يعرفونها؛ لإظهار أنه من عند الله تعالى، ولمزيد التحدي، ومن أساليبه الجديدة أنه جاء في نظمه بأسلوب جامع بين مقصديه: الموعظة والتشريع[2]، فهو (في كل شأن يتناوله من شئون القول يتخير له أشرف الموادّ، وأمسها رحمًا بالمعنى المراد، وأجمعها للشوارد، ويضع كل مثقال ذرة في موضعها الذي هو أحق بها وهي أحق به، بحيث لا يجد المعنى في لفظه إلا مرآته الناصعة، وصورته الكاملة، ولا يجد اللفظ في معناه إلا وطنه الأمين، وقراره المكين، فلا المكان يريد بساكنه بدلًا، ولا الساكن يبغي عن منزله حِوَلًا).[3]

---

(١) – مناهل العرفان١/ ٢٨٦وما بعدها بتصرف.

(٢) – التحرير والتنوير١/ ١١٥.

(٣) – النبأ العظيم د/ محمد عبد الله دراز صـ١٢١، وكما يقول الخطابي: " وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة٠٠" ثلاث رسائل في إعجاز القرآن صـ٢٧.

أما آية سورة الجن فذاك مقرها، وهي في قرار مكين؛ إذ سياق الآيات يوضح (أنّ كفار الإنس والجنّ تضافروا على إبطال هذه الدعوة، ومعاداة رسول الله ﷺ، فجاء الأمر بهذا الإعلان ليبيّن أن هذا التمالؤ والتواطؤ على العداء له ما يبرره؛ إذ إن رسول الله ﷺ لم يفعل سوى عبادة الله –تعالى– وحده، وأنّه لم يدّع أنه يملك نفعًا أو ضرًّا، أو هداية أو ضلالًا، وأنه ﷺ لن ينجيه عند الله إلا أن يبلغ، وإلا أن ينفذ رسالات الله، ومن ثمّ فإنه يبلغ نجاة لنفسه وإقامة للحجة على الخلق، وأن الذين يخالفون رسالات الله لهم نار جهنم خالدين في أبدًا وعندما سيرونها وقتئذ سيعلمون الأضعف ناصرًا والأقل عددًا).[١]

ففي الآيات (تهديد عظيم وتوكيل إلى الله –جل وعلا– وأنه سبحانه هو الذي يجزيه بحُسن صنيعه وسُوء صنيعهم، ثم فيه مبالغة من حيث إنه لا يدع التبليغ لتظاهرهم هذا، فإن الذي يستطيعه – عليه الصلاة والسلام– هو التبليغ ولا يدع التبليغ).[٢]

وإنما رتب على العصيان لله ورسوله عذاب جهنم، وذلك عقب إيراد التبليغ؛ لأن الأعداء تكالبوا على الرسول ﷺ واجتمعوا عليه متراكمين يريدون إيذاءه وعاندوه واقترحوا عليه ما توهموه تعجيزًا له، فبيّن الله تعالى أن ترك القبول لما أنزل على الرسول وترك الاعتقاد لما جاء به هو عصيان يتطلب عذابًا.[٣]

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

(١) – الأساس في التفسير سعيد حوى٦/ ٣٢٦، التفسير ١٠/ ٩٤.

(٢) – تفسير الآلوسي ١٤/ ١٤٤، وينظر: نظم الدرر للبقاعي ٢٠/ ٤٩٧.

(٣) – تأويلات أهل السنة للماتريدي ١٠/ ٢٦٣، التحرير والتنوير ٢٩/ ٢٤٥.

المطلب السادس:

الافتراءات الواردة حول إنكار الإسراء والمعراج وسدرة المنتهى.

عند الآية (١) من سورة الإسراء[١]، جاء في قرآن المؤرخين: "....أن قصة الإسراء اختلطت بقصة آخر كانت تتعلق بجانب مهم آخر من القصص النبوي، وهو قصة المعراج الصعود السماوي، وتمكن الفكرة في أن هاتين القصتين لم يكن لهما في الأصل أي علاقة ببعضهما البعض، مع ذلك فقد أخذا في التداخل بشكل تدريجي في التراث الإسلامي.....، وقد وسع التراث الإسلامي والمفسرون المسلمون هذه الإشارة عن طريق سرد قصص حول الإسراء إلى القدس أو إلى السماء، لكن القرآن نفسه لا يتضمن مثل هذا الوصف، ولا يقول إن هذه الرحلة قد تمت بطريقة إعجازية خلال الليل.....، وأن وصف رحلة الإسراء يجب أن يفهم بدلًا من ذلك في ضوء تصوير النبوة الموسوية التي يلجأ إليها القرآن في مواضع مختلفة، وأنه تم استخدام عبارة مشابهة لنلك التي في سورة الإسراء في مواضع أخرى من القرآن، ولكن في سياق سري يتعلق بموسى وبالهروب من مصر (سورة طه:٧٧، الشعراء:٥٢، سورة الدخان:٢٣) وعليه تفسير اللفظ (عبده)على أنه إشارة إلى موسى الذي استولى عليه فيما بعد التراث التفسير اللاحق لينسبه إلى النبي العربي".[٢]

وعند الآيات: (١٤ – ١٨) من سورة النجم[٣]، جاء في قرآن المؤرخين: " .....فإن الآية

---

(١) – وهو قوله تعالى: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ".

(٢) – قرآن المؤرخين١/ ١٥٠ وما بعدها بتصرف.

(٣) – وهو قوله تعالى: " عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (١٨)".

رقم (١٤) تحدد موقعها التعبير المبهم الملغز (سدرة المنتهى)،.....ولكن يرى (ليون كأيتاني) الذي هو في نظر (بيل) محق في قوله: أن المراد بـ (سدرة المنتهى) هو مكان يقال عنه: أنه قريب من مكة،.....وأن جنة المأوى يحمل اسمًا لحديقة قريبة من مكة، أو أنها إشارة إلى العشب الناري التوارتي، .....ثم تسترجع الآية (١٨) موضع الرؤي لتخلص إلى أنه (الصاحب أو العبد) رأى بعضًا من آيات ربه الكبرى، معلنة بهذا عن موضوع هذه الرؤي، وقد اعتبر هيرشفليد أن هذه الآية تشير إلى قصة موسى اعتماد بصفة خاصة على المشابهة مع الآية رقم (٢٠) من سورة النازعات: (فأراه الآية الكبرى) ".[١]

مضمون هذه الافتراءات:

تقوم هذه الفِرية على اللامنهجية، وإعمال العقل في الأمور الغيبية، بمعنى: التضارب والتناقض في المنهج، ففي الوقت الذي يطعنون فيه على علماء المسلمين ويقدحون في المفسرين، تراهم يقدسون علماءهم ويكثرون من النقل عنهم، ويعتمدون على نصوص قرآنية يؤولونها على غير مرادها، ويعيبون على غيرهم إذا فسروا الآيات بما يتفق مما جاء في القرآن والسنة،

وعلى إهمال السياق وإهداره، وعلى إنكار السنة النبوية المشرّفة، وعلى إنكار أصل من الأصول المتفق عليها، ألا وهو: الإجماع.

الردّ:

أعداء الإسلام قديمًا وحديثًا شأنهم التنكر لما وقع للنبي محمد ﷺ من المعجزات، تلك التي تدل على احتفاء الله –تعالى – به، وإمداده بالقوة والنصرة ولا سيما في أوقات المحنة، فـ (لقد أحسّ النبي ﷺ بالوحشة بعد وفاة الحبيبين: خديجة العطوف، وأبي طالب

(١) – قرآن المؤرخين ٢/ ٤١٩.

الشـفيق، فقال الله – تعالى- بالفعل: أنس الله أكبر، ورحمته أعظم، وحياطته أكرم، وإن عنايته بك وبرسالتك هي التي ستبلغك أمرك، وتحقق لك شأوك، وتصل بك إلى غايتك، وهو المهيمن الرءوف الرحيم، لذلك كان الإسراء، ومن بعده عروجه إلى السماء).[١]

فأنكرها المشركون قديمًا، وعندما أخبرهم النبي ﷺ بما أراه الله –عزّ وجلّ- من الآيات الكبرى اشتد تكذيبهم له وأذاهم واستضرارهم عليه[٢]، وها ذا التاريخ يعيد نفسه فنجد من يقول بأن السيرة النبوية ما هي إلا ضرب من الوهم وأنها من صياغة الخيال التاريخي بما يحويه من لا معقولية، وأن ما فيها من الأمل المشرق والفتح العظيم- وكأنه معجزة-هي زخرفة فقط من عمل المؤرخين ومن نسج خيالهم، وأن رحلة الإسراء والمعراج تصوير روحي قائم على فكرة وحدة الوجود.[٣]

مع أن هذه المعجزة بلغت مبلغ التواتر، وانعقد الإجماع على صحتها، ووردت بها السنة النبوية الصحيحة[٤]، قال الحلبي: "اعلم أنه لا خلاف في الإسراء به ﷺ؛ إذ هو نص القرآن على سبيل الإجمال، وجاءت بتفصيله وشرح أعاجيبه أحاديث كثيرة عن جماعة من

(١) – خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم لأبي زهرة ١/ ٤١٤.

(٢) – الرحيق المختوم للمباركفوري صـ١٣٧.

(٣) – تاريخية الدعوة المحمدية هشام جعيط صـ٢٩١، حياة محمد لحسين هيكل صـ٢٠٧.

(٤) – فقد جاء في صحيح البخاري: ك: مناقب الصحابة، ب: المعراج ٥/ ٥٢ ح (٣٨٨٧) عن مالك بن صعصعة، ومسلم في صحيحه: ك: الإيمان، ب: الإسراء برسول الله ﷺ ١/ ١٤٥ ح (١٦٢) عن أنس بن مالك.

الصحابة من الرجال والنساء ".[١]

وقد جاء في السنة الصحيحة ما يفسّر " سدرة المنتهى" مما لا يدع مجالًا لمرتاب، ففي صحيح مسلم عن عبد الله قال: "لما أسري برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يُعرج به من الأرض فيُقبض منها، وإليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها".[٢]

وأنه لا خلاف بين المفسرين في أن المراد بقوله تعالى: " لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى " هو سيدنا محمد ﷺ؛ إذ الآيات تتحدث عن عصمة الرسول ﷺ في أمر الوحي، وتأكيد رؤيته لعالم الغيب الذي يدعو إليه، فقد قال الطيبي: " وأما اقتضاء النظم فإنه مجرى الكلام إلى قوله: (وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى)[٣] من أمر الوحي وتلقيه من الملك، ودفع شُبه الخصوم، ومن قوله: (ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى) إلى قوله: (لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى)[٤] على أمر العروج إلى الجناب الأقدس، والضمير في قوله: (أوحى) لله –تعالى– و (عبده) من إقامة المظهر موضع المضمر؛ لتصحيح نسبة القرب، وتحقيق معنى : (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا) ".[٥]

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

(١) – إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون١/ ٥١٤، وينظر: الجامع لأحكام القرآن٥/ ٥٤٧، وفيه: "ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر".

(٢) – أخرجه مسلم في صحيحه: ك: الإيمان، ب: في ذكر سدرة المنتهى ١/ ١٥٧ ح (١٧٣).

(٣) – سورة النجم الآية (٧).

(٤) – سورة النجم الآية (٨– ١٨).

(٥) – فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب ١٥/ ٨٦، وينظر: الأساس في التفسير ٦/ ٤٢.

المطلب السابع:

الافتراءات الواردة حول حديث النجوى، وتحية اليهود للرسول ﷺ.

عند الآية (٨) من سورة المجادلة[١]، جاء في قرآن المؤرخين: " هذه الآية أطول من سابقاتها وتلك اللاتي تليها، وهي تبدأ بنفس الصيغة البلاغية التي بدأت بها الآية (٧): " ألم تر ..." وتكرر، ولكن بصورة أكثر حدّة، إدانة النجوى، وبالتالي قد تكون آية (٨) إضافة لاحقة تحمل نفس فحوى آية (٤)[٢]: فقد تتعلق المسألة بإضافة أوامر جديدة أو شروط جديدة لقاعدة أقدم، وطبيعة الجدل في حدّ ذاتها غير واضحة، فالموضوع هو أن هناك أشخاص يستمرون في الاجتماع على الرغم من أنهم نُهوا عن ذلك مسبقًا (علمًا بأنه آية (٧) لم تنه إطلاقًا عن النجوى) أشخاص يعصون الرسول ويوجهون ("لضمير المخاطب المفرد" اعتاد المفسرون فيما بعد تأويله على اعتبار أن المقصود به محمد) تحية لم "يحيك" بها الله، فأي تحية تلك؟ النص هنا غامض فلم يوضح، ولكننا نجد مرة أخرى السنة تسد الثغرات موضحة بصورة تبدو أنها من وحي الخيال أن أعداء محمد كانوا يقولون له: "السام عليك" بدلا من "السلام عليك" وكان العقاب الذي وعدوا به في ختام الآية هو جهنم وبئس المصير،....ثم ترجع الآية التالية إلى الوراء لتعلن أن "النجوى من الشيطان"

---

(١) – وهو قوله تعالى" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ".

(٢) – لا وجه إطلاقًا بين الآية (٨)، والآية (٤)؛ إذ الآية (٤) يقول الله تعالى: " فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ".

مناقضة بذلك الآية السابقة، يبدو أننا في مقطع الآيات من (٧-١٠) بصدد توليفة من نصوص قديمة تسمح النجوى (٧-٩) ونصوص أحدث تلغيها معلنة أن هذه الاجتماعات منهي عنها؛ لأنها من الشيطان (آيتا ٨-١٠) ".[١]

مضمون هذه الافتراءات:

تقوم هذه الفِرية على ادعاء التناقض في القرآن ، وزعم التعارض بين آياته، مما يدل على بشريته وأنسيته، ولو كان وحيًا لكان خاليًا من التناقض، وما ذلك منهم إلا لجهلهم بلغة القرآن الكريم وأساليبه البيانية، والتعصب والكراهية للإسلام، بل ولكافة الأديان، فقد قال أحدهم: " إن احتواء القرآن على قانون وأخلاقية وحتى على تناقضات أكسبه تأثيرًا عظيمًا ومعنى مطلقًا، فالتناقضات موجودة في كل الأديان الكبرى....."، وذكروا " أنه في المرحلة الواحدة توجد آيات متناقضة متعارضة تناقضًا وتعارضًا لا يمكن التشكيك فيهما من قِبل من يملك حدًّا ضروريًّا من الفهم اللغوي العربي، بل كيف سيكون الموقف حين نواجه في السورة الواحدة بل في الآيتين المتتاليتين نصين متناقضين".[٢]

وعلى إلغاء قضية النسخ؛ إذ هي من عناصر التخلص من التناقض والتعارض في القرآن الكريم، وأن "كان همّ المفسرين المتأخرين التخلص من المتناقضات العديدة الواردة في القرآن، والتي تصور لنا تدرج محمد في نبوته، إما بما عمدوا إليه من التوفيق بينهما، وإما بالاعتراف بأن الآيات المتأخرة تنسخ ما قبلها، وذلك في الحالات التي يشتد فيها التناقض بين الآيات"[٣]، فالنسخ عندهم لون من ألوان التخلص من التناقض في القرآن الكريم، وعنصر

(١) - قرآن المؤرخين ٢/ ٤٧٤،٤٧٣.

(٢) - الوحي والقرآن والنبوة هشام جعيط صـ١٠، التوظيف العلماني لأسباب النزول صـ٢٦٩.

(٣) - المستشرقون والقرآن ٢٣.

من عناصر الزيادة فيه، كذلك تقوم الشبهة إلغاء التفسير المأثور[١].

الردّ:

إن من وجوه إعجاز القرآن الكريم: خلوه من التناقض[٢]، "وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا "[٣]؛ إذ هو محكم في آياته، رصين في أسلوبه، دقيق في ألفاظه، كامل في معانيه، وهو قد فقد شروط التناقض التي نُص على أن وجودها دليل التعارض، والتي منها: اتفاق المحل، واتحاد الزمن، وتحقق الاختلاف بين النصين، وأن يكونا قطعيين في الثبوت والدلالة، فإذا كان النصان واردين في محل واحد، ووقت واحد، ودلّ أحدهما على الإثبات والآخر على النفي تحقق التعارض، وهذا مما لم يوجد في القرآن الكريم، وعليه فإذا كان هناك ما يوهم ظاهره التعارض، فلا بد من معرفة أن الجهات بينهم مختلفة بأن يكون أحدهما حقيقة والآخر مجازًا، أو اختلاف جهتي الفعل، أو اختلاف الموضوع.[٤]

وأنه قد أجمعت الأمة واجتمع علماؤها على الحفظ الإلهي للقرآن الكريم وعصمته

---

(١) – وعدم الاعتناء بهذا النوع من التفسير يوقع في الانحراف في التفسير؛ إذ من أسباب تهافت أقوال العلمانيين في التفسير قصورهم في المنهج بمعنى اللامنهجية حيث خلو تفسيرهم من العناصر المنهجية للتفسير بالمأثور، والتي منها: أسباب النزول، والبحث عن الآثار المتعلقة بالآية وذكرها، فهُم يرون ضرورة عدم الاقتصار على ما تعطيه روايات أسباب النزول مهما كان سندها، فنقد السند لا يكفي في بناء مصداقيتها، بل لا بد من التعامل معها بنظرة نقدية. التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم صـ٦٢٩، موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير صـ٤٠٥.

(٢) – معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ١/ ٧٣، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحيى العلوي ٣/ ٢٢١.

(٣) – سورة النساء من الآية (٨٢).

(٤) – البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٥٩، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي صـ ٦١٤.

من التحريف والتبديل والتناقض، وأن ذلك مما دلّ عليه الشرع والعقل والإجماع[١]، قال الله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ "[٢]، وقوله: "أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا"[٣]، وقوله: "لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ".[٤]

أما بالنسبة للنسخ فهو جائز شرعًا، وممكن عقلًا، وواقع فعلًا، وأن الحكمة منه مراعاة مصالح العباد في أطوارهم وأزمانهم المختلفة حسبما تراه الحكمة الإلهية، والتيسير على الأمة ورفع المشقة عنها؛ لتظهر منّة الله –تعالى– وفضله عليها، فتحمد وتشكر فيعظم لها الأجر وتزداد النعمة عليها، وأيضًا معالجة النفوس وتقويمها شيئا فشيئًا؛ لئلا ينفر القاسي منها والمزعزع.[٥]

مع العلم بأن هذا القدر من الآيات (٨-١٠) ليس فيه ناسخ ولا منسوخ، فلم يدخله النسخ أصلًا.

وأما الآيات التي تناولوها من سورة المجادلة، فإنه في تفسيرها تقع ضمن التفسير بالمأثور؛ إذ ورد فيها سبب نزول وجاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يوضح المراد منها، روى ابن أبي حاتم عن مقاتل قال: كان بين يهود وبين النبي ﷺ موادعة، فكانوا إذا مرّ بهم رجل من أصحاب النبيﷺ جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو

(١) – رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم د/ محمد عمارة صـ ١٧٧ وما بعدها.

(٢) – سورة الحجر الآية (٩).

(٣) – سورة النساء الآية (٨٢).

(٤) – سورة فصلت الآية (٤٢).

(٥) – مناهل العرفان ٢/ ١٥٦ وما بعدها، اللالئ الحسان في علوم القرآن د/ موسى شاهين لاشين صـ٢١٠.

بما يكره، فإذا رأى المؤمن ذلك خشـيهم فترك طريقه عليهم، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى فلم ينتهوا، فأنزل الله تعالى: " ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى....."[١]

وأن المراد بقوله تعالى: " بما لم يحيك به الله" هو قوله سـبحانه: " قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى "[٢]؛ لأن تحية الله تعالى لرسله – عليهم الصلاة والسلام- هو ما قاله سبحانه: " وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ "[٣].

وأن ما ورد في تفسـير قوله: " وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ " بأنهم اليهود الذين كانوا يأتون النبي ﷺ فيقولون: السام عليك يا محمد، بدلًا من "السلام عليكم"، هذا الحديث صـحيح أخرجه البخاري ومسـلم في صـحيحيهما والترمذي في سـننه [٤] وغيرهم، فيكيف يكون وحيًا من الخيـال، وهو ﷺ: " وَمَـا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ".[٥]

وأن قوله تعالى: " إنما النجوى من الشيطان " تسلية للمؤمنين وتأنيس لنفوسهم حتى

---

(١) – تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ١٠/ ٣٣٤٣، لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي صـ ٥٨٥ ضمن الجلالين.

(٢) – سورة النمل من الآية (٥٩).

(٣) – سورة الصافات الآية (١٨١).

(٤) – البخاري في صحيحه: ك: الدعوات، ب: قول النبي ﷺ : " يستجاب لنا في اليهود ولا يستجاب لهم فينا" ٨/ ٨٥ ح (٦٤٠١) عن عائشة، ومسلم في صحيحه: ك: السلام، ب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم ٤/ ١٧٠٦ ح(٢١٦٥) والترمذي في سننه: أبواب الاستئذان والآداب، ب: ما جاء في التسليم على أهل الذمة ٥/ ٦٠ ح(٢٧٠١).

(٥) – سورة النجم الآية (٣-٤).

يزال عنه ما يلحقهم من الحزن لمشـاهدة نجوى اليهود والمنافقين، وبيان أن ما يفعله هؤلاء إنما هو من جهة الشيطان؛ لأن بغية الشيطان وأعوانه من اليهود والمنافقين من هذه النجوى الإرجاف وإحداث حالة من الاضطراب في نفوس المؤمنين، الأمر الذي يعود عليهم بالحزن والضيق والخوف، فنزلت الآية مطمئنة للمؤمنين.

فالآيات توضـح أن اليهود والمنافقين نُهوا عن التناجي بما فيه ضـرر وأذى، فلم ينتهوا واسـتمروا في التناجي بالإثم والعدوان وحيوه بتحية لم يشـرعها الله تعالى، وأنه سـبحانه أمر المؤمنين بعدم سـلوك اليهود في التناجي بالممنوع، وإذا أراد التناجي فليكن بالمشـروع من البر والتقوى، وبيان أن ما وقع من التناجي بالشـر والأذى من اليهود والمنافقين إنما هو بتزيين الشيطان لهم الأعمال السيئة؛ ليغتم المؤمنون ويحزنوا، فلا تحزنوا –أيها المؤمنون– من تناجيهم؛ لأنه لا يقع ضرر عليكم إلا بإذن الله وإرادته.

فأي تناقض في هذا؟! وأيّ استشكال واقع فيها؟! إن ما يقوله هؤلاء المستشرقون ليس فيه سوى التعصب والكراهية للإسلام، والجهل بلغة القرآن الكريم وأساليبه البيانية البليغة.

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

المطلب الثامن:

الافتراءات الواردة حول قوله تعالى: "وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ".

عند الآية (٢) من سورة البلد، جاء في قرآن المؤرخين: "..... وتعبير " وأنت حلّ" في الآية (٢) هو تعبير مبهم، ويترجم بلاشير معنى هذا اللفظ بالتالي: " أنت لا علاقة لك " في الوقت الذي تقترح فيه نيورث المعنى كالتالي: وأنت حلّ (مقيم) في هذا البلد، وعلى غرار بيل، فإن دروج: يتكهن بأن المقصود بإضافة لاحقة؛ لأن هذه الآية تقاطع أو تتعارض مع القسم، ومن ثمّ يمكننا أن نفترض أن المحررين للسورة ربما رغبوا في ذكر المتلقي للرسالة القرآنية؛ لأنه غائب عن بقية السورة".[١]

مضمون هذه الافتراءات:

تقوم هذه الفِرية على دعوى أن النصوص قوالب فارغة من المعاني تُملأ حسب مقتضيات العصر، وأن دور المفسر الإنشاء والتأليف وليس الكشف والبيان، فعندهم " النص بطبيعته مجرد صورة عامة تحتاج إلى مضمون يملؤها، وهذا المضمون بطبيعته قالب فارغ يمكن ملؤه من حاجات العصر ومقتضياته التي هي بناء الحياة الإنسانية التي عبر عنها الوحي بالمقاصد العامة "[٢]،

وعلى وجود غموض وإبهام في النص القرآني، مما يدعو إلى فهم لغة القرآن في ضوء المناهج الحديثة، وهذا من شأنه يؤدي إلى التهوين من شأن اللغة العربية، والتي هي لغة القرآن الكريم، بل إنهم قالوا- كما قيل قديما- أن القرآن الكريم ليس معجزًا في ذاته، وإنما

(١) - قرآن المؤرخين٢/ ٧٢٦.

(٢) - مشروع اليسار الإسلامي حسن حنفي ٢/ ٣٩٧.

إعجازه جاء في صرف الناس عن معارضته[١]، وعليه فلا مانع من الزيادة والنقص فيه.

الردّ:

القرآن الكريم شيء، وتفسير القرآن الكريم شيء آخر؛ إذ القرآن الكريم هو: كلام الله –تعالى – المنزل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل –عليه السلام–، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه، المنقول إلينا بالتواتر، المفتتح بالفاتحة المختتم بالناس، أما التفسير، فهو: " علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب"[٢]، فهو تفسير لكلام الله تعالى على قدر الطاقة البشرية، وهو محتاج إلى مجموعة من العلوم يجب توافرها في المفسّر.

وأن القرآن الكريم معجزة خالدة قائمة في فم الزمان تشهد بصحة نبوة النبي ﷺ، وعجز المتحدين عن الإتيان بمثله أمر متواتر بتواتر هذه الآيات بينهم، وهذه أمر مجمع عليه الأمة ومجتمع عليه عند جميع العلماء، وإن اختلفوا في وجوه إعجاز القرآن الكريم.[٣]

وأما الآية وهي قوله تعالى: " وأنت حلّ بهذا البلد" فهي جملة حالية تفيد تعظيم المقسم به، وفيها تسلية له ﷺ وتعجيلًا لمسرته، والمعنى: والحال أنك – يا محمدﷺ– حال في مكة نازل بها، قيّد أقسامه – تعالى– بمكة بحلوله –عليه الصلاة والسلام– فيها إظهار لمزيد فضلها، فإنها بعد أن كانت شريفة بنفسها زاد شرفها بحلول النبي العظيم الشريف فيها، فمطلع السورة تذكير بمجموعة أمور: بعظمة هذا البيت، وبعظمة رسول الله

(١) – مفهوم النص نصر حامد أبو زيد صـ ١٤٥.

(٢) – البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٢٦.

(٣) – مناهل العرفان ٢/ ٢٨ وما بعدها، التحرير والتنوير ١/ ١٠١ وما بعدها.

ﷺ الذي يزداد بوجوده هذا البيت عظمة، وبعظمة آدم – عليه السلام- وكرامة ذريته، وتذكير بحال الإنسان في عيشه المكابد؛ ليستدل به على أصل مهمته في الحياة.(١)

وأما ادعاء أن النبي ﷺ غائب عن بقية السورة، فهو زعم باطل، وادعاء فاسد، فالسورة الكريمة إنما هي تنديد بالذين يقفون موقف المشاقة والمشاكسة ويتباهون بأموالهم غير حاسبين حساب العاقبة، وتعجيب من جرأة أهل مكة وشدة عداوتهم له ﷺ، وفيها أنه تعالى لما سلى رسوله ﷺ وحمله على الصبر على أذى قريش بأن أقسم على أنه خلق الإنسان في كبد أخذ في وعيد من كان – عليه الصلاة والسلام ٠ يكابد منه أكثر المكابدة أو يغتر هو بقوته أشد الاغترار، وبيّت أن الإنسان الذي لم يهذبه وحي يتصور أنه لا تكليف ولا أحد يقدر عليه وأنه يدعي الإنفاق ولا ينفق، وأنه يكفر بآيات الله، وأن الطريق إلى أن يعرف الإنسان قدرة الله –تعالى- عليه هو أن يرى كيف خلق في مكابة فيسعى إلى فعل الخيرات والإيمان، والتواصي بالصبر والمرحمة.(٢)

فمحور السورة هو رسول الله ﷺ حيث تعظيمه ﷺ وأن البلد الحرام ازداد به شرفًا وتعظيمًا ، وبيان أن وحيه الذي جاء به يرسم طريق الخير ويحقق السعادة لسالكيه، ويبيّن طريق الشر وعقوبة سالكيه.

والله – تعالى – أعلى وأعلم، وأعزّ وأكرم.

(١) – البحر المحيط ١٠/ ٤٧٩، حاشية الصاوي على الجلالين٤/ ٤٥٤، روح البيان١٠/ ٤٣٣، الأساس في التفسير٦/ ٤٩٣.

(٢) – حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي٤/ ٥٦٥، الأساس في التفسير ٦/ ٤٩٤، التفسير الحديث ٢/ ٢٥٣.

خاتمـــة

الحمد لله القريب المجيب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الشفيع الحبيب، خَلْقه نِعمة، ومبعثه رحمة، وشمس سنته لا تغيب، أما بعد:

فإن هذه الدراســة وضــحت بأن أعداء الإســلام تشــابهت قلوبهم قديمًا وحديثًا، فالمحدثون نقلوا افتراءات القدامى وأكاذيبهم، ووضــعوها في ثوب جديد، فبالأمس كانت الإســرائيليات، واليوم كان الاســتشــراق، والذي عمل على فكرة خصــخصــة الدين، وتأليه الإنســان، والتاريخية، والقطيعة مع التراث، والتغيير لأجل التغيير، وقد تأثر بهم العلمانيون فـأخـذوا يتعـاملون مع القرآن الكريم على المنهجيـة النفعيـة التي تســعى للطعن في الوحي الإلهي ولا ســيما المصــدر الأول فيه وهو القرآن الكريم والتشــكيك في ثبوته وفي دلالات نصوصه وتفريغ آياته من محتواها وما اشتملت عليه معانيها الأمر الذي يتطلب إعادة فهمها فهمًا جديدًا، والوقوف على أيدلوجيات جديدة ومناهج حديثة للتعامل مع النص القرآني؛ لنخرج من خلالها بتفســير للقرآن وتأويل لآياته يتخلص من التفســير الموروث ويقوم على نقد الفكر الديني، ويدعو إلى قراءة جديدة قائمة أصـولها على أسـس غربية مبنية على أنسـية القرآن وبشــريته، ونســبية أحكامه وقابليتها للتغيير، وواقعيته أي أنه مســتق من الواقع ، فهو ليس كلامًا إلهيًّا.

وقد خلصت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

١- القراءة الاستشراقية للنصوص الدينية قائمة على التشكيك والتفكيك.

٢- تأثرت العلمانية بالاستشراق أيّما تأثر، فقالوا ببشرية النص القرآني وإنسيته، وهذا يؤدي إلى نزع قدســية القرآن والتشــكيك فيه، والقول بتحريفه، ودراســته دراســة نقديّة، وقد أنكروا الوحي، وقد أنكروا المعجزات؛ إذ قاسوها بمقياس العقل.

٣- إن أصدق وصف لهؤلاء أنهم (الوضاعون في العصر الحاضر)؛ فهم يزعمون في العصر الحاضر أنهم قد تمخضوا للبحث العلمي؛ ليسوا من البحث العلمي في شيء؛ إذ لديهم من الدس والتلاعب في نقل النصوص لتتفق مع أهوائهم وأغراضهم.

٤- إنهم يريدون بكل وسيلة القضاء على الإسلام، كقوة ذاتيّتها، وأصالتها، ومنهجها في الحياة، وهم يستعملون من أجل ذلك كل الوسائل، فإذا لم تُواتهم ظروف السلاح والعنف، استعملوا أسلحة أخرى منها الاستشراق، وهدف الاستشراق إفساد ما يمكن إفساده من الدين".(١)

٥- للعقل دور لا يتعداه، وأن في سير الأنبياء خصوصيات لا تخضع للعقل، فظاهرة الوحي فوق مستوى العقل.

٦- صالحية القرآن الكريم لكل زمان ومكان، فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي وعد الله – تعالى- بحفظه، ووعد الله لا يتخلف، فقد حفظه الله من التحريف، والتبديل، والزيادة والنقصان.

٧- من وجوه إعجاز القرآن الكريم خلوه من التناقض، فهو محكم في آياته، رصين في أسلوبه، دقيق في ألفاظه.

٨- السنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع، وتعتبر بيانًا لمجمل القرآن الكريم، وتوضيحًا لمشكله، وتقييدًا لمطلقه، وأنها محفوظة بحفظ الله تعالى؛ إذ هي وحي.

---

(١) – الرسول ﷺ وسنته الشريفة د/ عبد الحليم محمود صـ٢٧٦ وما بعدها، ط: الأزهر، هدية مجلة الأزهر شهر ربيع الأول ١٤٤٥هـ.

وتوصي هذه الدراسة بتوصيات أهمها :

١- الدراسة الموضوعية لكتاب قرآن المؤرخين؛ لمعرفة ما لديهم من تناقض، وما في كلامهم من تضارب.

٢- القيام بمشاريع بحثية من شأنها دفع افتراءات الحداثيين، وردّ شبهات المشككين، ويا حبذا لو تم فيها تفعيل دور الدراسات البينية، والعمل بروح الفريق من خلال جمع التخصصات المختلفة والسير معًا تحت مظلة واحدة ضمن خطة واضحة المعالم ومحددة الزمن.

٣- جمع التفسيرات المذمومة، والانحرافات الموجودة في كتاب "قرآن المؤرخين" المتعلقة بالسيرة النبوية؛ إذ هي كثيرة ومتعددة، وما ذكرناه إنما هو مجرد نماذج.

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد في كل لمحة ونفس.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الاتجاه العلماني المعاصر في علوم القرآن الكريم دراسة ونقد، د/ أحمد محمد الفاضل، ط: مركز الناقد الثقافي، (١)٢٠٠٨م.

٢- الاتجاه اللغوي المنحرف في التفسير في العصر الحاضر، عبد الله بن إبراهيم المغلاج، رسالة ماجستير = جامعة أم درمان الإسلامية- السودان.

٣- الإتقان في علوم القرآن للحافظ جلال الدين السيوطي، ت: د/ محمد متولي منصور، ط: مكتبة دار التراث (١)١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.

٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي- بيروت، (٤)١٤١٤هـ=١٩٩٤م.

٥- الإسرائيليات في التفسير والحديث د/ محمد حسين الذهبي، ط: مكتبة وهبة (٣)١٤٠٦=١٩٨٦م.

٦- إظهار الحق، للشيخ/ رحمة الله الهندي، ط: المكتبة التوفيقية- القاهرة.

٧- الاعتصام، للشاطبي، ط: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، دون تاريخ.

٨- الانحراف في فهم الحديث النبوي دراسة تأصيلية، سامح عبد الإله عبد الهادي، إشراف د. خالد علوان، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين.

٩- إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، (٢) ١٤٢٧هـ.

١٠- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، ط: دار الفكر- بيروت، عام ١٤٣٢هـ=٢٠١٠م.

١١- البرهان في علوم القرآن للزركشي، ت/ محمد أبو الفضل، ط: دار الإحياء عيسى الحلبي، (١) ١٣٧٦هـ=١٩٥٧م.

١٢- تاريخية الدعوة المحمدية في مكة هشام جعيط، ط: دار الطليعة- بيروت، (١) ٢٠٠٧م.

١٣- تأويلات أهل السنة للماتريدي، ت: د/ مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، (١) ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥م.

١٤- التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر، عام ١٩٨٤م.

١٥- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي، ت: د/ عبد الله الخالدي، ط: دار الأرقم – بيروت، (١) ١٤١٦م.

١٦- التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، ط: دار الفكر العربي – القاهرة.

١٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر - دمشق، ١٤١٨ هـ.

١٨- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، أ د/ محمد سيد طنطاوي، ط: دار السعادة- القاهرة، عام ٢٠٠٧م.

١٩- تنزيه القرآن عن دعاوى المبطلين، د/ منقذ بن محمود السقار، ط: رابطة العالم الإسلامي، عام ٢٠٠٩.

٢٠- التوظيف العلماني لأسباب النزول دراسة نقدية د/ أحمد قوشتي عبد الرحيم، ط: مجلة البيان – الرياض (١)١٤٣٨هـ.

٢١- التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم عرض ونقد، منى محمد بهي الدين الشافعي، ط: دار اليسر- القاهرة، (١) ١٤٢٩هـ.

٢٢- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ت: محمد خلف الله أحمد، د/ محمد زغلول سلام، ط: دار المعارف- بمصر، (٣) ١٩٧٦م

٢٣- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ت: د/ محمد إبراهيم الحفناوي، د/ محمود حامد عثمان، ط: دار الحديث- القاهرة عام٢٠٠٧م.

٢٤- حاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي، ت/ عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتب العلمية- بيروت، (١)١٩٩٧م.

٢٥- حاشية الصاوي على الجلالين، ت/ عبد الله المنشاوي، ط: دار الحديث – القاهرة.

٢٦- حاشية شيخ زاده على البيضاوي، ط: مكتبة الحقيقة- تركيا، عام ١٩٩٨م.

٢٧- الحداثية وتحدياتها للتفسير القرآني ودور الأزهر في مواجهتها د/ دين محمد ميراصاحب.

٢٨- حياة محمد، تأليف: محمد حسين هيكل، ط: دار المعارف بمصر، (١٢) دون تاريخ.

٢٩- خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم لمحمد أبي زهرة ١/ ١١٣ ط: دار الفكر العربي – القاهرة- ١٤٢٥هـ.

٣٠- الرحيق المختوم للمباركفوري، ط: المتبة التوفيقية، (١١)١٤٣١هـ=٢٠١١م.

٣١- رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم د/ محمد عمارة، ط: دار السلام- القاهرة، (١)١٤٣٢هـ=٢٠١١م.

٣٢- الرسول ﷺ وسنته الشريفة د/ عبد الحليم محمود صـ٢٧٦ وما بعدها، ط: الأزهر، هدية مجلة الأزهر شهر ربيع الأول ١٤٤٥هـ.

٣٣- روح البيان في تفسير القرآن إسماعيل حقي البرسوي، ط: دار الفكر - بيروت، بدون تاريخ.

٣٤- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي، ط: دار التوفيقية، القاهرة، بدون تاريخ.

٣٥- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحي الشامي، ت/ الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود وآخر، ط: دار الكتب العلمية بيروت، (١)١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

٣٦- سنن الترمذي، ت/ أحمد محمد شاكر وآخرون، ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر، (٢)١٣٩٥هـ=١٩٧٥م.

٣٧- سنن الدارمي، ت/ فواز أحمد زمرلي وآخر، ط: دار الكتاب العربي – بيروت، (١) ١٤٠٧ هـ

٣٨- السيرة النبوية في ضوء الكتاب والسنة لمحمد أبو شهبة، ط: دار القلم- دمشق- (٨) ١٤٢٧هـ.

٣٩- السيرة النبوية وأوهام المستشرقين عبد المتعال محمد الجبري، ط: مكبتة وهبة، (١) ١٤٠٨هـ=١٩٨٨م.

٤٠- شبهات مزعومة حول القرآن الكريم للشيخ/ محمد الصادق قمحاوي، ط: الأزهر، هدية مجلة الأزهر شهر المحرم ١٤٤٥هـ.

٤١- الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور/ محمد عابد الجابري، رؤية نقدية، تأليف/ عبد السلام البكاري، الصديق بوعلام، ط: دار الأمان – الرباط، (١) ١٤٣٠هـ=٢٠٠٩م.

٤٢- صحيح البخاري، ت/ محمد زهير بن ناصر الناصر، ط: دار طوق النجاة، (١) ١٤٢٢هـ.

٤٣- صحيح مسلم، ت/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٤٤- الطراز في علوم البلاغة وأسرار الإعجاز ليحيى العلوي، ط: المكتبة العنصرية – بيروت، (١) ١٤٢٣هـ.

٤٥- ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي دراسة تحليلية نقدية، د/ سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، ط: مركز - التأصيل للدراسات والبحوث- السعودية، (١) ١٤٣٧هـ =٢٠١٦م.

٤٦- العلمانيون والقرآن الكريم: تاريخية النص، د/ أحمد إدريس الطعان، ط: دار ابن حزم- السعودية (١)١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٤٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر، ترقيم أبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار المعرفة - بيروت، عام ١٣٧٩هـ.

٤٨- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، وهو حاشية الطيبي على الكشاف، ط: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، (١)١٤٣٤هـ=٢٠١٣م.

٤٩- فقه السيرة لمحمد الغزالي، ط: دار الدعوة- القاهرة، (٧)١٤٢٨هـ=٢٠٠٧م.

٥٠- الفكر الإسلامي قراءة علمية محمد أركون ، ترجمة: هاشم صالح، ط: الإنماء القومي- بيروت، (٢)١٩٩٦م.

٥١- قرآن المؤرخين، تحت إشراف: محمد على- معزى، جيوم دي، ط: دار النشر سيرف، عام ٢٠١٩م.

٥٢- لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، ط: دار الكتب العلمية بيروت، دون تاريخ.

٥٣- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، ت/ عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العمية – بيروت، (١) ١٤٢٢هـ .

٥٤- محمد ﷺ منهج ورسالة- بحث وتحقيق، د/ محمد الصادق عرجون، ط: الأزهر، ضمن سلسلة هدايا مجلة الأزهر.

٥٥- مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، ط: مكتبة الأسرة لعام٢٠١٣م بالهيئة المصرية العامة للكتاب.

٥٦- المستشرقون والقرآن، د/ محمد بهاء الدين حسين، ط: دار النفائس بالأردن (١)١٤٣٥هـ=٢١٤م.

٥٧- المفهم لما أشكل من كتاب تلخيص مسلم لأبي العباس القرطبي، ت/ عبد الهادي التازي، ط: وزارة الأوقاف والشؤن الإسلامية بالمغرب.

٥٨- مفهوم النص دراسة في علوم القرآن د.نصر حامد أبو زيد، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب، عام ١٩٩٠م.

٥٩- من قضايا الفكر الإسلامي في مواجهة التغريب واستلاب الهوية د/ محمد السيد الجليند ، ط: المكتبة الأزهرية للتراث.

٦٠- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقاني، ط: دار الفكر – بيروت.

٦١- منطلقات الحداثيين في التعامل مع السنة النبوية د/ شيحة عبد الله علي المطوع، ط: مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية- الكويت.

٦٢- موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، د/ محمود بن علي بن أحمد، ط: مر كز تفسير للدراسات القرآنية- السعودية، (١) ١٤٣٦هـ= ٢٠١٥م.

٦٣- النبأ العظيم، د/ محمد عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، تقديم: أ.د/ عبد العظيم إبراهيم المطعني، ط: دار القلم، عام ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

٦٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم البقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

٦٥- هل القرآن معصوم عبد الله عبد الفادي، بدون تاريخ.

٦٦- الوحي والقرآن والنبوة هشام جعيط ، ط: دار الطليعة- بيروت، (٢)٢.....م.

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخص..... ٣٩
المقدمـــة..... ٤٣
أسئلة البحث ومشكلاته..... ٤٥
أهداف البحث..... ٤٥
المنهج المتبع في هذا البحث..... ٤٦
الدراسات السابقة حول هذا البحث..... ٤٦
خطة البحث..... ٤٧
تمهيد..... ٤٩
الأول: تعريف بمفردات البحث..... ٤٩
الثاني: نبذة حول "قرآن المؤرخين" وطريقة العمل فيه..... ٥٨
المبحث الأول: افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها (الدراسة النظرية)..... ٦٢
المدخل (القراءة الاستشراقية للنصوص الدينية وتأثر العلمانية بها)..... ٦٢
المطلب الأول: بشرية القرآن ونزع القداسة..... ٦٤
المطلب الثاني: إنكارهم للسنة النبوية المشرفة..... ٦٦
المطلب الثالث: الهرمينوطيقا وإهمال السياق..... ٦٨

المطلب الرابع: التفكيكية، وإهدار التراث. ٧٠
المطلب الخامس: ظاهرة التضارب والتناقض في كلامهم. ٧٢
المبحث الثاني: افتراءات المستشرقين حول الآيات المتعلقة بالنبي محمد ﷺ، ومدى تأثر العلمانيين بها (الدراسة التطبيقية) ٧٤
المطلب الأول: الافتراءات الواردة في اسم النبي ﷺ:..... ٧٤
المطلب الثاني: الافتراءات الواردة حول موت النبي ﷺ. ٧٩
المطلب الثالث: الافتراءات الواردة حول إنكار الوحي..... ٨٤
المطلب الرابع: الافتراءات الواردة حول شق صدره الشريف ﷺ..... ٨٨
المطلب الخامس: الافتراءات الواردة حور دور النبي في تبليغ الرسالة..... ٩١
المطلب السادس: الافتراءات الواردة حول إنكار الإسراء والمعراج وسدرة المنتهى..... ٩٤
المطلب السابع: الافتراءات الواردة حول حديث النجوى، وتحية اليهود للرسول ﷺ: ٩٨
المطلب الثامن: الافتراءات الواردة حول قوله تعالى: " وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ" ١٠٤
خاتمـــة..... ١٠٧
فهرس المصادر والمراجع ١١٠
فهرس الموضوعات ١١٧